

الباب الثالث

فكر ما وجد في الكتب المتقدمة من البشارات بالنبي صلى الله عليه وعلى آله^(١)

١ - يقول تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِكُتُبِنَا بَعَرَفُونَهُ كَمَا بَعَرَفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَمَكْذُومُونَ الْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وقد أشارت إليه السنة في حديث عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، وحرزا للأمين (أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فأفتح به أعينا عميا وآذاناً صمًا وقلوبا غلفا بأن يقولوا: " لا إله إلا الله ".

هذه فصول يعرفها أهل الكتاب في كتبهم. وليسوا ينكرونها وقد جاريت فيها منهم من كان يرجع إلى حفظ كثير وضبطها، وغير أنهم يتأولونها تأويلات فاسدة.

فمن ذلك ما وجد في التوراة، وقيل هو في السفر "الأخير"^(١) في الفصل الثالث والثلاثين " : جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبل فاران"^(٢)

فقوله: " جاء الله من سيناء"^(٣) أراد ابتعائه موسى - صلى الله عليه - من قبل طور سيناء، وقوله: " وأشرق من ساعير"^(٤) أراد ابتعائه المسيح - صلى الله عليه - وساعير: الناحية التي كان فيها عيسى - صلى الله عليه - وقوله " واستعلن من

١ - المقصود سفر التثنية، وهو يشمل الوصايا العشر والكثير من الوصايا التي وضعها الله للشعب اليهودي، ثم عن كلمة الوداع التي قالها موسى - عليه السلام - قبل رحيله وتكليف يشوع بقيادة الشعب اليهودي بعد موت موسى.

٢ - ١ وأهذه هي البركة التي بارك بها موسى، رَجُلُ اللَّهِ، بَنَى إِسْرَائِيلَ قَبْلَ مَوْتِهِ، ٢ فَقَالَ: «جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سَيْنَاءَ، وَأَشْرَقَ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلَأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ الْقُدْسِ، وَعَنْ يَمِينِهِ نَارٌ شَرِيعَةٌ هُمْ. ٣ فَأَحَبَّ الشَّعْبَ. جَمِيعَ قَدَيْسِيهِ فِي يَدِكَ، وَهُمْ جَالِسُونَ عِنْدَ قَدَمِكَ يَتَقَبَّلُونَ مِنْ أَفْوَالِكَ. ٤ بِنَا مُوسَى أَوْصَانَا مُوسَى مِيرَانًا لِحِمَاةِ يَعْقُوبَ. ٥ وَكَانَ فِي يَشُورُونَ مَلِكًا حِينَ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الشَّعْبِ أَشْبَاطُ إِسْرَائِيلَ مَعًا. ٦ لِيُخِي رَأُوبَيْنُ وَلَا يَمُتْ، وَلَا يَكُنْ رِجَالُهُ قَلِيلِينَ». (أنظر سفر التثنية، الإصحاح ٣٣: ١-٦).

٣ - سيناء هي المكان الأول وتشير إلى المكان الذي فيه موسى، ودليل ذلك: " ١٦ وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سَيْنَاءَ، وَعَطَاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ دَعَى مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ. ١٧ وَكَانَ مَنظَرُ مَجْدِ الرَّبِّ كَنَارٍ أَجَلَّةٍ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ أَمَامَ عِيُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ١٨ وَدَخَلَ مُوسَى فِي وَسَطِ السَّحَابِ وَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ. وَكَانَ مُوسَى فِي الْجَبَلِ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً " (خروج ٢٤: ١٦-١٨).

٤ - سعير هي المكان الثاني وهي تعني أرض فلسطين التي سكنها عيسو أخو يعقوب، ودليل ذلك: ٨ فَسَكَنَ عَيْسُو فِي جَبَلِ سَعِيرَ. وَعَيْسُو هُوَ أَدُومُ " (تكوين ٣٦: ٨).

جبل فاران" (١) أراد به ابتعائه محمداً - صلى الله عليه وعلى آله - من جبال مكة ؛ لأن جبال مكة تسمى في التوراة " جبل فاران " لا ينكر ذلك أحد ممن عرف التوراة. (٢)

وفي التوراة: أن إبراهيم - صلى الله عليه - أسكن هاجر (٣) وإسماعيل - صلى الله عليه - فاران يعنى: مكة، ولم يبعث أحد من الأنبياء ابتعانا ظاهرا، فشا أمره في مشارق الأرض ومغاربها، كما اقتضى قوله: " استعلن " لأن " استعلن " هو بمعنى:

١ - فاران إشارة إلى إسماعيل عليه السلام والنبي الذى يأتى من نسله. حيث يقول الله عن إسماعيل: " ٢١ وَسَكَنَ فِي بَرِّيَّةِ فَارَانَ، وَأَخَذَتْ لَهُ أُمُّهُ زَوْجَةً مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ". (أنظر سفر التكوين، الإصحاح ٢١: ١٧-٢١).

٢ - في النسخ الحديثة من الكتاب المقدس (جاء الرب) وليس (جاء الله)، والرب كلمة معربة عن العبرية تعنى السيد والمعلم. ومن النص السابق يتضح أن موسى عليه السلام قسم البركة قبل موته على: (سيناء.... جاء)، (ساعير.... أشرق)، (فاران.... تلالاً). فعندما يقول: جاء الرب، أى ظهور ملاك الرب على نبيه وتلقينه كلام الله. وعندما يقول: أشرق، المراد تجلية الشريعة وتوضيحها. وفي هذا المعنى يقول المسيح نفسه " لا تظنوا أنى جئت لأنقض التاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل " (متى ٥: ١٧). وعندما يقول: تلالاً، المراد قمة البيان والهيمنة.

وعلى ذلك يكون معنى النص: " إن الله تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بسعير وهى من أرض الجبل المقدس، وبعث محمداً صلى الله عليه وسلم من مكة الواقعة بين جبال فاران كجبل أبى قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها " (أنظر عقيدة المؤمن: أبو بكر جابر الجزائري، ص ٣٠٦ بتصرف). وقد شبه الله سبحانه وتعالى نبوة موسى بمجيء الصباح ونبوة المسيح بعدها بإشراقه وضياؤه ونبوة خاتم الأنبياء بعدهما باستعلاء الشمس وظهور ضوئها فى الأفاق ووقع الأمر كما أخبر به سواء. فإن الله سبحانه وتعالى صدع بنبوة موسى ليل الكفر فأضاء فجره بنبوته وزاد الضياء والإشراق بنبوة المسيح وكمل الضياء واستعلن وطبق الأرض بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم.

وذكر هذه النبوات الثلاثة التى اشتملت عليها هذه البشارة نظير ذكرها فى أول سورة: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّبُوتُونَ ﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين: ١-٣).

فذكر أمكنة هؤلاء الأنبياء وأرضهم التى خرجوا منها "التين والزيتون" والمراد بهما منبتها وأرضها وهى الأرض المقدسة التى هى مظهر المسيح.

"طور سينين" الجبل الذى كلم الله عليه موسى فهو مظهر نبوته.

"وهذا البلد الأمين" مكة حرم الله وأمنه التى هى مظهر نبوة محمد صلوات الله وسلامه عليهم. فهذه الثلاثة نظير تلك الثلاثة سواء قالت اليهود: " فاران " هى أرض الشام وليست أرض الحجاز أم لم

تقل، وليس هذا ببدع من بهتهم وتحريفهم. (أنظر هداية الحيارى: ابن القيم، ص ١١٩).

٣ - أم الذبيح إسماعيل عليه السلام وزوجة إبراهيم عليه السلام.

علن. إذا ظهر وانكشف (ولم يستعلن) غير محمد - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فلم يبق ريب في أنه هو المراد بهذه اللفظة.

وفي التوراة: أن هاجر تراءى لها ملاك، وقال: " يا هاجر أنى سأكثر ذريتك، وزرعك حتى لا يحصوا كثرة، وها أنت تحبلين وتلدين ابنا، وتسمينه إسماعيل ؛ لأن الله عز وجل قد سمع خشوعك، وتكون يده فوق يد الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع".^(١)

وقد علمنا أن المراد بهذه: ولد إسماعيل، وهو رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله - لأن إسماعيل نفسه لم تكن يده فوق يد إسحاق، ولا يد ولديه يعقوب - صلى الله عليه - وعيسى، مبسوطة إليه بالخضوع ولم يكن في ولد إسماعيل من كانت أيدى أولاد إسرائيل، وعيسو وسائر الناس مبسوطة إليه، غير رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله -.

إنه هو الذى دانت له الملوك من آل إبراهيم - صلى الله عليه - وغيرهم، وخشعت له رقابهم، وخضعت له الأمم، وصارت الإمامة والملك فى أهله، وصارت أيديهم فوق أيدي الجميع، وأيدي الجميع مبسوطة إليهم، كما وعدت هاجر، فوضح أنه بشارة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله -.

وفى فصل من كتاب أشعياء النبي - صلى الله عليه - " لتفرح أرض البادية العطشى، ولتبتهج البرارى والفلوات، ولتنزه لأنها ستعطى بأحد محاسن لبنان، وكماال حسن الدساكر والرياض"^(٢)

١ - ١٠ وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ نَسْلِكَ فَلَا يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ». ١١ وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ الرَّبِّ: «هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لِأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكَ. ١٢ وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَخَشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ». (أنظر سفر التكوين، الإصحاح ١٦: ١٠-١٢).

٢ - ١ أَنْفَرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالْأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِّجُ الْقَفْرُ وَيُزْهِرُ كَالْتَرَجِسِ. ٢ يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِّجُ ابْتِهَاجًا وَيُرْتِّمُ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلٍ وَسَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلَهِنَا. ٣ شَدِّدُوا الْأَيْدِيَ الْمُسْتَرْحِيَّةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ بَيْتُهَا. ٤ قُولُوا لِجَانِبِي الْقُلُوبِ: «تَشَدَّدُوا لَا تَخَافُوا. هُوَذَا إِلَهُكُمْ. الْإِنْتِقَامُ يَأْتِي. جِزَاءُ اللَّهِ. هُوَ يَأْتِي وَيَخْلِّصُكُمْ».

ومن المعلوم: أن البادية لم يحصل لها ولفواتها المحاسن إلا بالإسلام والمسلمين،
فبان أنه بشارة بالنبي - صلى الله عليه وعلى آله - وإن كان في أهل الكتاب من ينكر
الاسم على عادتهم في التحريف.^(١)

١ - من نبؤات أشعيا قوله في الإصحاح الثاني والأربعون: «هُودَا عِبْدِي الَّذِي أَعْضَدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي
سُرْتُ بِهِ نَفْسِي. وَصَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلْأُمَمِ. ٢. لَا يَصِيحُ وَلَا يَزْفَعُ وَلَا يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ
صَوْتَهُ. ٣. قَصَبَةٌ مَرْضُوضَةٌ لَا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةٌ خَامِدَةٌ لَا يَطْفِئُ. إِلَى الْأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. ٤. لَا يَكِيلُ وَلَا
يَنْكَسِرُ حَتَّى يَبْصَحَ الْحَقُّ فِي الْأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ». الفقرة السابقة من سفر أشعيا يتحدث
عن نبي اشتهر بأنه عبد الله ورسوله، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ
وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾
[القلم: ٤]، إن الأوصاف التي حددها أشعيا النبي لا تنطق إلا على النبي محمد صلى الله عليه
وسلم، وأكدتها الآيات السابقة من القرآن الكريم. وبالجملة فإن سفر أشعيا يتحدث عن وصف
نبي الإسلام وقومه وحالهم قبل مجيئه ثم حالهم بعد مجيئه. ويمكن تقسيم السفر إلى فقرات ثم تجمع
لتعطي معنى متكاملًا كالآتي:

٦ «أَنَا الرَّبُّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالرَّبِّ، فَأَمْسِكْ بِيَدِكَ وَأَحْفَظْكَ وَأَجْعَلْكَ عَهْدًا لِلشَّعْبِ وَنُورًا لِلْأُمَمِ، ٧. لِنَتَفَتَحَ
عُيُونَ الْعُمَى، لِنُخْرِجَ مِنَ الْحُبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السَّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ. (أنظر سفر
أشعيا، الإصحاح ٤٢: ٦-٧). وهذه الفقرة تبين أن الله يعصمه من الناس حتى يكمل رسالته أي
أنه لن يموت ولن يقتل حتى يكتمل الدين، وفي هذا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ
النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، والفقرة السابقة لا يمكن تطبيقها على المسيح؛ لأن الأنجيل تحدثنا أنه كل
وانكسر سريعاً إذ أنها تزعم أنه قتل بعد فترة وجيزة من بدء دعوته. وبالرجوع للفقرة السابقة نجد
تقول: " ٧. لِنَتَفَتَحَ عُيُونَ الْعُمَى، لِنُخْرِجَ مِنَ الْحُبْسِ الْمَأْسُورِينَ، مِنْ بَيْتِ السَّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ."
" وهنا يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَأْهَلُ الْكُتُبِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا
كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكُتُبِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١﴾
يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وفي نفس السفر نجد " ١١. لِنَرْفَعِ الرَّبِّيَّةَ وَمُدَّتْهَا صَوْتَهَا، الدِّبَارُ الَّتِي
سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِنَتَرْتَمِ سَكَانَ سَالِحٍ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَهْتَفُوا. ١٢. لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا
بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. ١٣. الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يُخْرِجُ. كَرَّجُلٍ حُرُوبٍ يُنْهَضُ غَيْرَتَهُ. يَهْتَفُ وَيَصْرُخُ وَيَقْوَى
عَلَى أَعْدَائِهِ. " (أشعيا ٤٢: ١١-١٣). وهذه الفقرة تبين أن النبي الآتي من نسل إسماعيل بن
إبراهيم " الديار التي سكنها قيدار " وقيدار هو الابن الثاني لإسماعيل " ١٢. وَهَذِهِ مَوَالِيدُ إِسْمَاعِيلَ
بَنِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي وَلَدَتْهُ هَاجِرُ الْمِصْرِيَّةُ جَارِيَّةُ سَارَةَ لِإِبْرَاهِيمَ. ١٣. وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْمَاعِيلَ بِأَسْمَائِهِمْ
حَسَبَ مَوَالِيدِهِمْ: نَبَايُوتُ بَكْرُ إِسْمَاعِيلَ، وَقِيدَارُ،..... الخ " (التكوين ٢٥: ١٢-١٣). وعرب
الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه: نبايوت وقيدار. "سالع" السلع هو الشق في الجبل ونحوه، ولعل

المراد بالشق في الجبل "سنيات الوداع". فمن عائشة رضی الله عنها أنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان يقلن:

طلع البدر علينا
من سنات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع

والنص السابق به "الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته" إن الله وعد أن ينصر رسله، وفي التوراة والإنجيل قرائن تؤكد هذه الحقيقة. وفي القرآن قرائن تؤكد نصر الله لنبية محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلَئِنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَّةٌ بَلَاءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٧]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ [٥] إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلَلِينَ ﴿٦﴾ بَلَىٰ إِنْ نَضَيْبُوا وَتَقَفُوا فِي فُورِهِمْ هَذَا يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِمِائَةِ آفَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ. وَمَا الْكَافِرُ إِلَّا مِنَ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٦].

إن الفقرة السابقة تبين أن في دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسييح وتكبير ومؤتمر عالمي يعقد سنوياً. والإسلام هو الدين الوحيد الذي يحدث فيه هذا إذ يجتمع كل الحجاج من ملوك وشعوب ومن مختلف البيئات والأعمار، لا يجتمعون في القصور وإنما في رؤوس الجبال. إن هذه الفقرة تقول: "من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الرب مجداً ويخبرون بتسييحه في الجزائر". إن هذا ما يحدث في الإسلام فقط وذلك في ركنه الخامس وهو الحج. لقد تنبأ أشعيا عن الكعبة المشرفة بأنها منارة الهدى تتوهج بنور التوحيد فتبدي الظلام الذي خيم على الأرض، ظلام الجهل والشرك، فقال: ﴿ قَوْمِي اسْتَبْرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورٌكَ، وَجَدَّ الرَّبُّ أَسْرَقَ عَلَيْكَ. ٢ لِأَنَّهُ هَا هِيَ الظُّلْمَةُ تُغْطِي الْأَرْضَ وَالظُّلَامُ الدَّائِمُ الْأَمَمُ. أَمَّا عَلَيْكَ فَيَسْرِقُ الرَّبُّ، وَجَدَّهُ عَلَيْكَ يَرَى. ٣ فَتَسِيرُ الْأُمَمُ فِي نُورِكَ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ. ﴾ (أشعيا ٦٠: ١-٣). وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم فقال: ﴿ ظَلَمْتُمْ بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْتُمْ بِرَبِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ [النور: ٤٠]، ويخبرنا السفر بأنه "شعبٌ منهوبٌ ومسلوبٌ. قَدِ اضْطَيْدَ فِي الْحَقْرِ كُلَّهُ، وَفِي بُيُوتِ الْحُبُوسِ اخْتَبَأُوا. صَارُوا تَهْبًا وَلَا مُنْقَذَ، وَسَلَبًا وَكَيْسَ مَنْ يَقُولُ: «رُدِّدْ!»". (أشعيا ٤٢: ٢٢). وهذه الفقرة تبين أن الشعب الذي ظهر فيه هذا النبي كان ضعيفاً جداً وكان طعمة لكل آكل. لقد كان معروفاً حال العرب قبل الإسلام فقد كانت الحدود الشمالية الشرقية نهياً للفرس، ولكن بعد أن جاءهم هذا النبي وظهر فيهم هذا الدين تحول العمى إلى مبصرين والمرضى إلى أصحاء، فانطلقوا في العالم. راجع الفقرة مرة أخرى " لتفتح عيون العمى، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين في الظلمة " (أشعيا ٤٢: ٧). وأيضاً " ١٦ وَأَسِيرَ الْعُمَى فِي طَرِيقٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا. فِي مَسَالِكٍ لَمْ يَدْرُوهَا أَمْشِيهِمْ. أَجْعَلِ الظُّلْمَةَ أَمَامَهُمْ نُورًا، وَالْمَعْوَجَّاتِ مُسْتَقِيمَةً. هَذِهِ الْأُمُورُ أَفْعَلُهَا وَلَا أَتْرُكُهَا. " (أشعيا ٤٢: ١٦). وبعد ذلك يجتهد السفر نبؤته بأنه نبي البر يعظم شريعة الله ويكرمها وهذا ما عرف عن محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي شمل بره الحيوانات والضعفاء من الأطفال واليتامى والنساء والأرامل. لقد كان يحترم النفس البشرية مهما كانت. وإليك النص: " ٢١ الرَّبُّ قَدْ سُرَّ مِنْ أَجْلِ بَرِّهِ. يُعْظَمُ الشَّرِيعَةَ وَيُكْرِمُهَا. ٢٢ وَلَكِنَّهُ شَعْبٌ مَنُهَبٌ وَمَسْلُوبٌ... الخ". وقد يقول قائل: إن هذه النبؤة جاءت في نبي آخر غير محمد، نقول له بيننا وبينك الإنجيل. لقد ظهر في بني إسرائيل أنبياء كثيرون بعد أشعيا وتتابعوا

حتى جاء المسيح. فنجد أن إنجيل متى حاول تحقيق هذه النبوة في المسيح فهو يقول: «هُوَذَا فَتَاىَ الَّذِى اخْتَرْتَهُ، حَبِيبِى الَّذِى سَرَّتْ بِهِ نَفْسِى. أَصْعُ رُوحِى عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الْأُمَّمَ بِالْحَقِّ. ١٩ أَلَا لِنَجَاحِمْ وَلَا يَصِيحُ، وَلَا يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشُّوَارِعِ صَوْتَهُ. ٢٠ قَصَبَةٌ مَرْضُوضَةٌ لَا يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةٌ مُدَخَّنَةٌ لَا يَطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقُّ إِلَى النُّصْرَةِ. ٢١ وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الْأُمَّمِ» (إنجيل متى ١٢: ٢١). يلاحظ أن الكاتب حرف الكلم من بعد مواضعه فوضع كلمة "فتاى" بدلاً من "عبدى" ونحن كمسلمين نقول لهذا القائل ومن على شاكلته بورك لكم هذه النبوة التي تعتقدون أنها تختص بالمسيح بشرط أن تأخذوها جميعاً كما جاءت بسفر أشعيا. فهي تقول: (هوذا عبدى الذى أعضده. مختارى الذى سرت به نفسى وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم). فإذا أمتتم بأن المسيح هو حقاً عبد الله ورسوله وأن الله أيده بالروح فنحن كمسلمين نوافقكم على ذلك. ولكن الحقيقة تقول أن بقية نبوة أشعيا في (الإصحاح ٤٢) لا يمكن تطبيقها على المسيح بأى حال من الأحوال فما كان الشعب اليهودى الذى ظهر فيه المسيح شعباً وثنياً وما كان المسيح رجل حرب... الخ، وفي إصحاح آخر عند أشعيا يقول: "٣ صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: «أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوْمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لِإِلَهِنَا. ٤ كُلُّ وَطَاءٍ يَرْفَعُ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكْمَةٍ يَنْخَفِضُ، وَيَصِيرُ الْمُعْوِجُ مُسْتَقِيماً، وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً. ٥ فَيُعْلَنُ مَجْدُ الرَّبِّ وَيَرَاهُ كُلُّ بَشَرٍ حَيِّعاً، لِأَنَّ قَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (أشعيا ٤٠: ٣-٥). فكلما القفر تكتب في العبرية (ع ر ف ت) مع وجود علامة الفتحة الطويلة تحت حرف الفاء، فتتطق: عرفات. وأيضاً يقول أشعيا: " ١١ وَخِى مِنْ جِهَةِ دُومَةَ: صَرَخَ إِلَى صَارِخٍ مِنْ سَعِيرٍ: «يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟ يَا حَارِسُ، مَا مِنَ اللَّيْلِ؟» ١٢ قَالَ الْحَارِسُ: «أَتَى صَبَاحٌ وَأَيْضاً لَيْلٌ. إِنْ كُنْتُمْ تَطْلُبُونَ فَاطْلُبُوا. ازْجِعُوا، تَعَالُوا» ١٣ وَخِى مِنْ جِهَةِ بِلَادِ الْعَرَبِ: فِي الْوَعْرِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ تَبَيَّنَ، يَا قَوَائِلَ الدَّدَانِيِّينَ. ١٤ هَاتُوا مَاءَ الْمِلَاقَةِ الْعَطْشَانِ، يَا سُكَّانَ أَرْضِ تَيْمَاءَ. وَأَفُوا الْهَارِبَ بِخَبْرِهِ. ١٥ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَمَامِ السُّيُوفِ قَدْ هَرَبُوا. مِنْ أَمَامِ السَّيْفِ الْمُسْلُولِ، وَمِنْ أَمَامِ الْقَوْسِ الْمَشْدُودَةِ، وَمِنْ أَمَامِ شِدَّةِ الْحَرْبِ" (أشعيا ٢١: ١١-١٥). وعنوان الفقرة في الإنجليزية هو: Oracles about Edom and Arabia وينبغي أن نفرق بين معان الكلمات الآتية:

Arabia وهي تعنى أرض شبه الجزيرة العربية، أما كلمة Arabs فهي تعنى العرب كجنس بشرى، وكلمة Arabians إنها تعنى السكان العرب المقيمون بشبه جزيرة العرب. وبالرجوع للنص السابق، فإن (دومة) هي المنطقة التى سكنها دومة ابن إسماعيل وذريته من بعده. وبالتالي يكون معنى النص الإنجليزي السابق: وحى من جهة دومة ومن جهة الجزيرة العربية. وأخيراً يقول أشعيا: " ١ تَفْرُحُ الْبَرِّيَّةُ وَالْأَرْضُ الْيَابِسَةُ، وَيَبْتَهِّجُ الْقَفْرُ وَيَزْهَرُ كَالنَّرْجِسِ. ٢ يُزْهِرُ إِزْهَارًا وَيَبْتَهِّجُ ابْتِهَاجًا وَيُرْتَمُّ. يُدْفَعُ إِلَيْهِ مَجْدُ لُبْنَانَ. بَهَاءُ كَرْمَلٍ وَسَارُونَ. هُمْ يَرَوْنَ مَجْدَ الرَّبِّ، بَهَاءَ إِلَهِنَا. ٣ شَدَّدُوا الْأَيْدَى الْمُسْتَرْجِعَةَ، وَالرُّكْبَ الْمُرْتَعِشَةَ تَبْتُوهَا. ٤ قُولُوا لِلْحَائِفِي الْقُلُوبِ: «تَشَدَّدُوا لَا تَحْأَفُوا. هُوَذَا إِلَهُكُمْ. الْإِنْتِقَامُ يَأْتِي. جَزَاءُ اللَّهِ. هُوَ يَأْتِي وَيَحْلُصُكُمْ» ٥ حِينْتِلِدُ تَنْفَعُ عَيْونُ الْعُمَى، وَأَذَانُ الصُّمِّ تَنْفَتِّحُ. ٦ حِينْتِلِدُ يَقْفِرُ الْأَعْرَجُ كَالْإِيْلِ وَيَبْرَتُّ لِسَانَ الْأَخْرَسِ. لِأَنَّهُ قَدْ انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاءٌ، وَأَنْهَارٌ فِي الْقَفْرِ. ٧ وَيَصِيرُ السَّرَابُ أَجْمًا، وَالْمُعْطِشَةُ يَتَابِعُ مَاءً. فِي مَسْكِنِ الذَّنَابِ، فِي مَرْبِضِهَا دَارٌ لِلْقَصَبِ وَالْبَرْدَى. ٨ وَتَكُونُ هُنَاكَ سِكَّةٌ وَطَرِيقٌ يُقَالُ لَهَا: «الطَّرِيقُ الْمُقَدَّسَةُ». لَا يَعْبُرُ فِيهَا نَجْسٌ، بَلْ هِيَ لَهُمْ. مَنْ سَلَكَ فِي الطَّرِيقِ حَتَّى الْجِهَالِ، لَا يَقْضِلُ. وباختصار شديد فهناك بعد سبعين كيلومتر من مدينة جدة يوجد طريق الطائف وعلى الطريق المتجه ناحية الشمال لافتة مكتوب عليها: " المدينة المقدسة ممنوع الدخول لغير المسلمين "

وعن حقوق^(١) النبي - صلى الله عليه: "جاء الله من التيمن، والقدوس من جبال فاران، وامتلات الأرض من تمجيد أحمد، وتقديسه وملك الأرض، ورقاب الأمم"^(٢) وقد بينا أن جبال مكة تسمى في التوراة: جبال فاران.^(٣)

١ - ظهر حقوق في أثناء السنوات الأخيرة قبل سقوط أورشليم في سنة ٥٨٦ ق.م.، وقد رأى بعين النبوة، في أواخر القرن السابع، الدينونة الماحقة التي ستحل بيهودا، وتساءل بانزعاج: لماذا سمح الله بشُوع الشر في أوساط يهوذا وكيف يرضى الله أن يستخدم أمة وثنية كالبابليين لمعاقة يهوذا على شرها. وقد أجاب الله عن حيرة حقوق وكشف له عن أكثر مما طلب، إذ أعطاه رؤيا عن ذاته المقدسة. هذه البصيرة الجديدة لإدراك ذات الله، وتبين النبي عجزه ونقصه أمام كمال الله، منحاه الشجاعة على تحمل نكبات تلك الأيام السود بقوة وتصميم.

٢ - يقول النص: "٣ اللهُ جَاءَ مِنْ تَيْبَانَ، وَالْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَاَرَانَ. سِيَلَاةً. جَلَالُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضُ امْتَلَأَتْ مِنْ نَسِيحِهِ. ٤ وَكَانَ لَمَعَانُ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدَيْهِ شُعَاعٌ، وَهَنَّاكَ اسْتَبَارَ قُدْرَتِهِ." (حقوق ٣: ٣-٤).

إن هذه النبوة تشير إلى مكة المكرمة، فقوله: "اللهُ جَاءَ مِنْ تَيْبَانَ" تشير إلى بلد في جنوب شرقي تبوك قرب من المدينة المنورة. وقوله: "الْقُدُّوسُ مِنْ جَبَلِ فَاَرَانَ" إنها هي إشارة إلى مكة، وحينما يقول "جَلَالُهُ غَطَّى السَّمَاوَاتِ" إنه الأذان، إنها صيحات "الله أكبر" التي تتردد في الأفاق في كل الأرض التي يسكنها المسلمون. إنها جلال الله الذي يغطي السماوات والأرض. إنها لا يمكن أن تشير إلى كنيس اليهود الذي يستخدم البوق، ولا إلى كنيسة النصارى التي تستخدم الجرس، ولكنها تشير إلى متذنة المسجد حيث يعلوها المؤذن ليشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. حتى إذا ما أقيمت الصلاة قام المسلمون خاشعين لله يسبحون ويكبرون ويسجدون بجباههم على الأرض تعظيماً لله ولا يحدث هذا إلا في صلاة المسلمين. وأما قوله: "وَكَانَ لَمَعَانُ كَالنُّورِ. لَهُ مِنْ يَدَيْهِ شُعَاعٌ، وَهَنَّاكَ اسْتَبَارَ قُدْرَتِهِ" فما أعظم وما أجد أن يرفع القرآن عالياً فقيه النعمة وفيه الهداية وفيه البركة وفيه كل الخير.

٣ - إن "فاران" اسم مكة بالعبرانية، وقيل اسم لجبال مكة وقد تطلق على جبال الحجاز كلها. بينما يفهم من قاموس الكتاب المقدس أن فاران هي صحراء جنوب فلسطين المتاخمة لسيناء والممتدة إلى إيلات "العقبة" على الخليج. فجعلت فاران بين سيناء وسعير وهو أمر ظاهر الخطأ (قاموس الكتاب المقدس، ص ١٦٣).

ولنا أن نسأل أولئك الذين يصرون على أن فاران هي فاران سيناء: من هو القدوس الذي تلالاً من ذلك الجبل الذي لا يرتبط بأدنى علاقة بأى من أحداث الإنسانية المهمة، فمن الذي تلالاً عليه؟ كما أن فاران صيغة تثنية من فار أو فاز، بمعنى الفَارَان من مكان إلى مكان آخر أو المهاجران مع ملاحظة أن الفرار هنا كان لله تعالى ﴿فَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾. وهناك فرق: فالفَارَ يخرج من مكان إلى مكان آخر بفعل فاعل وبغض النظر عن صفة هذا الفاعل، والمهاجر هو الخارج من مكان إلى آخر طواعية ليس بفعل فاعل. وهاتان الصفتان نجدهما في حالة هاجر وابنها إسماعيل عليها السلام. ففي ذلك المكان المعظم لجأ المهاجران هاجر وإسماعيل بعد أن صحبهما إبراهيم عليه السلام إليه فأقاما فيه، وعلى مقربة منها وقف إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَنْزَلْ لَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ لُحْمًا

يَشْكُرُونَ ﴿ إبراهيم: ٣٧ ﴾ وفي تلك البرية الذي أطلق عليها إبراهيم عليه السلام اسم وادي غير ذي زرع، يوجد جبل فاران الذي يحيط بذلك الوادي والذي وقف عليه إبراهيم يؤذن للناس ليأتوا إليه من كل فج عميق ثم دعا بدعوتيه السابقتين. وفي سفر التكوين: "ودعا هناك إبراهيم باسم الرب". فعندما يقول إبراهيم عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ نعلم من النص أن ذلك المكان لم يكن له اسم معروف وإنما أخذ اسمه من الأحداث التي جرت فيه (نبي أرض الجنوب: الشراوى، ص ٨٩). والقصة كما رواها ابن عباس رضى الله عنه، وسجلها لنا الإمام البخارى في صحيحه نذكرها هنا نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير:

"أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم منطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا؟ قال نعم. قالت: إذا لا يضيعنا. ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَأَرْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يلتوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً فلم ترى أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى إذا جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات. قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينها، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت صه تريد نفسها، ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهي تفور بعد ما تغرف. قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك: لا تخاف الضيعة فإن هنا بيت الله بيني هذا الغلام وأبوه وإن الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كذا فتزلوا في أسفل مكة فرأوا طائراً عاثفاً فقالوا إن هذا الطائر ليدور على الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جرياً أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا قال وأم إسماعيل عند الماء فقالوا تأذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم. قال عبد الله بن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فألقى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإنس فتزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فتزلوا معهم حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب

وقال داوود - صلى الله عليه: في مزموه، في صفة النبي صلى الله عليه - "أنه يجوز من البحر إلى البحر، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأنهار، وانه تجشو أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحس أعداؤه التراب. تأتيه الملوك بالقرايين تسجد له وتدين له الأمم بالطاعة والانتقاد، لأنه يخلص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرؤف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى من ذهب بلاد سبأ، ويصلى عليه فى كل وقت، ويبارك عليه فى كل يوم، ويدوم ذكره إلى الأبد، وأن اسمه لموجود قبل الشمس والأمم كلها يتبركون به، وكلهم يحمدونه" (١)

فلما أدرك زوجته امرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته فلم يجد إسماعيل فسأل امرأته فقالت خرج بيتي لنا. ثم سألتها عن عيشهم وهيتهم فقالت نحن بشر فى ضيق وشدة وشكت إليه. قال فإذا جاء زوجك اقرئى عليه السلام وقولى له بغير عتبه بابه فلما جاء إسماعيل كأنه أنس شيئاً فقال هل جاءكم من أحد؟ فقالت: نعم جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته وسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا فى جهد وشدة. قال فهل أوصاك بشيء؟ قالت نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام ويقول لك غير عتبه بابك. قال: ذلك أبى وأمرنى أن أفارقك، فألحقى بأهلك فطلقها وتزوج منهم أخرى وليث عنه إبراهيم ما شاء الله. ثم أتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت: خرج بيتي لنا. قال: كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيتهم فقالت: نحن بخير وسعة وأنت على الله فقال ما طعامكم قالت: اللحم. قال: فما شربكم؟ قالت الماء. قال اللهم بارك لهم فى اللحم والماء. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولم يكن لهم يومئذ حب. ولو كان لهم حب لدعا لهم فيه فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه قال: فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام ومره يثبت عتبه بابه فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد قالت نعم أنا شيخ حسن الهيئة وأنت عليه فسألنى عنك فأخبرته فسألنى كيف عيشنا فأخبرته أنا بخير قال فأوصاك بشيء؟ قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك أن تثبت عتبه بابك. قال ذلك أبى وأمرنى أن أمسكك. ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يرى نبلاً له تحت دوحه قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد والوالد بالولد. ثم قال يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال فاصنع ما أمرك به ربك. قال وتعيننى؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرنى أن أبنى ههنا بيتاً وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذ ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. قال وجعلنا بنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم."

١ - أنظر سفر المزامير (مزموه ٧٢): اللهم أعط أحكامك... الخ.

ومن مزمور آخر لداوود - صلى الله عليه وعلى آله - " تقلد السيف، فان ناموسك وشريعتك مقرونة بهيبة، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك " (١)

وليس في الأنبياء بعد داوود - صلى الله عليه - من تقلد السيف وحارب الأمم تحته. ومن قرنت شريعته بالهبة غير نبينا - صلى الله عليه.

وأيضاً في الزبور: " أن الله اصطفى أمته، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحونه على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذوات شفتين، لينتقم الله عز وجل من الأمم الذي لا يعبدونه، يوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرفهم بالأغلال " (٢)

ومن الظاهر أن هذه صفة أمة نبينا - صلى الله عليه وعلى آله - لأنه ليس في

١ - مزمور ٤٥ وإتماماً للفائدة رأينا عرض المزمور كاملاً، فهو ينطبق على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم -: " افاص قلبى بكلام صالح. متكلم أنا بإنشائي للملك. لسانى قلم كاتب ماهر. أنت أبرع جالاً من بنى البشر. انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد. ٣ تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار، جلالك وبهاءك. ٤ وبجلالك افتحم. ازكب. من أجل الحق والدعة والبر، فتريك بينك مخاوف. ٥ تبلك المسنونة في قلب أعداء الملك. شعوب تحتك يسقطون. ٦ كزسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب استقامة قضيب ملكك. ٧ أحبيت البر وأبغضت الإنم، من أجل ذلك مسحك الله إهلك يدهن الاتيهاج أكثر من رفقائك. ٨ كل ثيابك مر وعود وسليخة. من قصور العجاج سرتك الأوتار. ٩ بنات ملوك بين حظياتك. جعلت الملكة عن بينك يذهب أوفر. ١٠ اسمعي يا بنت وانظري، وأميلي أذنيك، وانسى شعبك وبيت أبيك، ١١ فاستهي الملك حننك، لأنه هو سيدك فأسجدي له. ١٢ وبنث صور أغنى الشعوب ترضى وجهك بهدية. ١٣ كلها مجد ابنه الملك في خدرها. منسوجة يذهب ملابسها. ١٤ بملابس مطرزة تخضر إلى الملك. في إثرها عذارى صاجباتها. مقدمات إليك. ١٥ تخضرن بفرح وابتهاج. يدخلن إلى قصر الملك. ١٦ عوضاً عن آبائك يكون بؤك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض. ١٧ أذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد. "

٢ - " هللوا. عتوا للرب ترنيمه جديدة، تسبيحته في جماعة الأتقياء. ٢ ليقرخ إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم. ٣ يسبحوا اسمه برقص. يدف وعود ليرنموا له. ٤ لأن الرب راض عن شعبه. يجمل الودعاء بالخلاص. ٥ ليبتهج الأتقياء بمجد. ليرنموا على مضاجعهم. ٦ تنبهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم. ٧ ليضنموا نعمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب. ٨ الأسر ملوكهم بقيد، وشرافهم بقبول من حديد. ٩ ليخرجوا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللوا. " (مزمور ١٤٩).

غيرهم من الأمم من يكبر الله بأصوات مرتفعة، ومعهم سيوف ذوات شفرتين، يقاتلون بها من لا يعبد الله.

وعن إشعياء النبي - صلى الله عليه - وقيل أنه في الفصل التاسع: "لنا ابن سلطانه كتفه، وسلطانه هو حجته"^(١) وقيل: أن هذا في النقل السرياني، وأما النقل العبراني فقيل: أن فيه "على كتفه علامة النبوة" وهذان التفسيران متقاربان. ومن المعلوم المستفيض: أن نبينا - صلى الله عليه وعلى آله - كان على كتفه خاتم النبوة، ولم ينقل أن ذلك كان لأحد من الأنبياء - صلوات الله عليهم، سواه.

وفي التوراة، وقيل أنه في السفر الخامس: قال الله عز وجل: " أنى أقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم مثلك، اجعل كلامي على فمه"^(٢)

١ - أنظر سفر أشعياء " ٦ لَأَنَّهُ يُؤَلِّدُ لَنَا وَلَدًا وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيْبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبَا أَبْدِيَا، رَبِّيسَ السَّلَامِ. " (أشعياء ٩: ٦). وفي صحيح الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ. وَكَانَ إِذَا أَدَهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ. وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَجْهُهُ مِثْلُ السِّيفِ؟ قَالَ: لَا. بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَكَانَ مُسْتَدِيرًا. وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتْفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يَشْبَهُ جِسْدَهُ. وَفِي رَوَايَةٍ أُخْرَى يَقُولُ جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ: رَأَيْتُ خَاتَمًا فِي ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَأَنَّهُ بَيْضَةُ حَمَامٍ. وَعَنْ الْجَعْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: سَمِعْتُ السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ يَقُولُ: ذَهَبْتُ بِي خَالَتِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ. فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبُرْكَ. ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ. ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَظَهَرْتُ إِلَى خَاتَمِهِ بَيْنَ كَتْفَيْهِ مِثْلَ زَرِّ الْحَجَلَةِ. وَقَدْ وَافَقَهُ الْبَخَارِيُّ (ج ١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (ج ٥). وَالحَجَلَةُ بفتح الحاء والجيم هذا هو الصحيح المشهور، والمراد بالحجلة واحدة الحجال، وهي بيت كالقبة لها أزرار كبار وعري، هذا هو الصواب المشهور الذي قاله الجمهور. وجاء في صحيح البخاري: كانت بضعة ناشزة، أي مرتفعة على جسده. (أنظر صحيح مسلم بشرح النووي، ج ٨، ص ١٠٩).

٢ - النص يقول: " ١٨ أُقِيمُ هُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فَمِهِ، فَيَكْلِمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيَهُ بِهِ. ١٩ وَتَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِيهِ. " وهذه النبوة ظنها البعض أنها تنطبق على يسوع المسيح، كما ظنها بطرس كذلك فقال في خطابه في رواق سليمان: " ٢٢ فَإِنَّ مُوسَى قَالَ لِلْآبَاءِ: إِنَّ نَبِيًّا مِثْلِي سَيَجِيءُ لَكُمْ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يَكْلِمُكُمْ بِهِ. ٢٣ وَتَكُونُ أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَا تَسْمَعُ لِذَلِكَ النَّبِيِّ تَبَادُ مِنْ الشَّعْبِ. ٢٤ وَجَمِيعُ الْآبِيَاءِ أَيْضًا مِنْ صَمُونِيلَ قَمَا بَعْدَهُ، جَمِيعُ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا، سَفَّوْا وَأَتَابَوْا بِهِذِهِ الْأَيَّامِ. ٢٥ أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الْآبِيَاءِ، وَالْعَهْدُ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللَّهُ آبَاءَنَا قَائِلًا لِإِبْرَاهِيمَ: وَبَسْمَلِكَ تَبَارَكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ. "، فحينها يقول النص على لسان موسى - عليه السلام -: " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم " فإن

الضمير الغائب المتصل [هم] من كلمة (إخوتهم) يشكل حقيقة من الحقائق لو شاء الرب أن يجعل هذا النبي المنتظر أن يكون من بنى إسرائيل لقال " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتكم " فيكون الضمير للمخاطب. أمّا أن يكون الضمير للغائب فمعنى هذا أن النبوة ارتفعت بسلسلة النسب إلى إبراهيم عليه السلام. تقول التوراة: لقد بورك إبراهيم في الأرض التي قيل عنها أرض الميعاد ولم يرزق بعد بولد ثم أعطى الولد. ونرى في سفر التكوين [١٧ : ١٨] أن إبراهيم يقول لله سبحانه: " لَيْتَ إِسْمَاعِيلُ يَعْيشُ أَمَامَكَ! " فقال الله له: " ٢٠ وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أَبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأَكْثُرُهُ كَثِيرًا جَدًّا. إِنِّي عَشْرَ رَيْسَاتٍ يَلِدُ، وَأَجْعَلُهُ أُمَّةً كَبِيرَةً. هَذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ الَّذِي يَأْتِي لِأَبَدٍ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ بِتَحْدِيدٍ أَكْثَرَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ لِأَنَّ الْخَطَابَ فِي تِلْكَ النَّبُوءَةِ مُوجَّهٌ لِلْغَائِبِ، إِذْ لَوْ كَانَ النَّبِيُّ الْمُنْتَظَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَحَسَبَ لِقِيلٍ " من إخوانكم "، ولكن النص يقول: " من وسط إخوتهم "، والمراد بذلك أبناء عمومته. وإليك القرائن الدالة على ذلك: ١- عن إسماعيل وذريته " ١٨ وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ جَبَلًا تَحِيَّيْءُ نَحْوَ أُشُورَ. أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ تَزَلُ. (تكوين ٢٥ : ١٨). ٢- آدوم الذي هو عيسو: " ٤ وَأَوْصِرَ الشَّعْبَ قَائِلًا: أَنْتُمْ مَارُونَ بِتُخْمِ إِخْوَتِكُمْ بَنِي عَيْسُو السَّاكِنِينَ فِي سِيعِيرَ، فَيَحَافُونَ مِنْكُمْ فَاحْتَرِرُوا جَدًّا. " (ثنائية ٢ : ٤). ٣- وصايا الله " ٧ لَا تَكْرَهُ أَدُومِيًّا لِأَنَّهُ أَخُوكَ. " (ثنائية ٢٣ : ٧). ومن هنا فإن لفظ الأخوة مقصود به أبناء إسماعيل لأنه جاء لفظ الأخوة بهذا الاستعمال الحقيقي في وعد الله هاجر في حق إسماعيل: " وأمام جميع إخوته يسكن "

والنص كاملاً من سفر الثنائية يقول: " يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ. ١٦ حَسَبَ كُلِّ مَا طَلَبْتَ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي حُورِبَ يَوْمِ الْاجْتِمَاعِ قَائِلًا: لَا أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهِي وَلَا أَرَى هَذِهِ النَّارَ الْعَظِيمَةَ أَيْضًا لِئَلَّا أَمُوتَ. ١٧ قَالَ لِي الرَّبُّ: قَدْ أَحْسَنْتَ فِي مَا تَكَلَّمُوا. ١٨ أُقِيمُ لَكُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلِكَ، وَأَجْعَلُ كَلَامِي فِي فِيهِ، فَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أَوْصِيهِ بِهِ. ١٩ وَيَكُونُ أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَا يَسْمَعُ لِكَلَامِي الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي أَنَا أَطَالِيهِ. ٢٠ وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْعِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلَامًا لَمْ أَوْصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمُ بِهِ، أَوْ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذَلِكَ النَّبِيُّ. ٢١ وَإِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: كَيْفَ نَعْرِفُ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ؟ ٢٢ فَمَا تَكَلَّمْ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَبْصُرْ، فَهُوَ الْكَلَامَ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ يَطْعِيَانِ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ، فَلَا تَخَفْ مِنْهُ. " (الثنائية ١٨ : ١٥ - ٢٢).

والأوصاف التسعة التي يتحدث عنها النص تنطبق بوضوح على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم إذا حذفنا " من وسطك " فهذه العبارة وضعها الكاتب ضمن النص الأصلي للبس الحق بالباطل ليؤكد أن هذا النبي إذا جاء فإنه سيكون من بنى إسرائيل، والدليل على ذلك أن النص يوضح من صفات النبي المنتظر أن يسمع اليهود ويطيعون أى يكون مشرعاً مثل موسى، وقد نصت شريعة موسى على أنه لن يأتي نبي مشرع من بنى إسرائيل كما أوضح سفر الثنائية " ١٠ وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلَ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لَوَجْهِهِ " (سفر الثنائية ٣٤ : ١٠).

كما أن عبارة " من إخوتك " تحريف للكلم من بعد مواضعها لأنها تحمل معنيين: المعنى الأول: من إخوة اليهود أى أنه سيكون إسرائيلياً. والمعنى الثانى: من إخوة اليهود أى أنه سيكون من بنى إسماعيل ؛ لأن إسماعيل أخ لإسحاق، وأولاد الأعمام يطلق عليهم إخوة. ولا

ينصرف لفظ من إخوتك على بنى عيسو أخى يعقوب ولا على أولاد إبراهيم من زوجته قطورة لأن اليهود والنصارى متفقون على حرمان هؤلاء من هبات النبوة.

لقد حدد النص أن الأتى في المستقبل نبى مثل موسى. فهل عيسى في معتقد النصارى نبى أم اله؟ إنه نبى في اعتقادنا نحن المسلمين وليس لها. أما في اعتقاد النصارى فإنه إله. ففي كتاب الأبيجية صلاة باكر: "هلم نسجد. هلم نسأل المسيح إلهنا...هلم نسجد...هلم نطلب من المسيح ملكنا" ص ١٠. كما أن النصارى يقولون أن عيسى عليه السلام من نسل داود عليه السلام من سبط يهوذا من جهة الأم، ومن أوصاف النبى المنتظر أن يسمع اليهود له ويطيعونه في كل ما يكلمهم به، إذا فهو مشرع لهم. ولكن شريعة موسى نصت على أنه لا مشرع غيره من بنى إسرائيل " ولم يَقُمْ بعدُ نبى في إسرائيل مثل موسى الذى عَرَفَ الرب وجهاً لوجه "، وعلى ذلك فلا يكون النبى المنتظر هو المسيح لأنه من بنى إسرائيل.

ألم يقل النص " وأجعل كلامى في فمه "؟ إنه التلقين، وهو إشارة إلى أن هذا النبى ينزل عليه الكتاب وحياً لكونه أمياً، وهو وصف القرآن للنبى محمد - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿فَلَقَامُونَا بِأَللّٰهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمَاتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُمْ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَزَمْنَاكَ الْمَنَظِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. وأشعياء النبى قد تنبأ عن النبى الأُمى " ١١ وَصَارَتْ لَكُمْ رُؤْيَا الْكُلِّ مِثْلَ كَلَامِ السُّفْرِ الْمُخْتَوِّمِ الَّذِي يَدْفَعُوهُ لِعَارِفِ الْكِتَابَةِ قَائِلِينَ: «اقْرَأْ هَذَا». فَيَقُولُ: «لَا أَسْتَطِيعُ لِأَنَّهُ مَخْتَوِّمٌ». ١٢ أَوْ يَدْفَعُ الْكِتَابَ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ وَيَقَالُ لَهُ: «اقْرَأْ هَذَا». فَيَقُولُ: «لَا أَعْرِفُ الْكِتَابَةَ " (أشعياء ٢٩: ١١-١٢).

فالرسول صلى الله عليه وسلم باعتبار معجزته ذات طبيعة حجية عقلية علمية كان لابد أن يكون أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وذلك لإظهار الإعجاز بصورة كاملة، فهو النبى الذى منعه الله أى معرفة قبل الوحي. أما تفسير الأمية الخاص بالأمة فله ثلاثة أبعاد:

البعد الأول: إطلاق اسم الأمية باعتبار انتسابها للنبى الأُمى. ولذلك أثبت القرآن خضوع غير العرب من المسلمين لصفة الأمية باعتبار الانتساب للأمة الأمية في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ٣]، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ. قال قلت من هم يا رسول الله فلم يراجع حتى سأل ثلاثاً وفيها سلمانُ الفارسى وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الإيوان عند الرُّيا لناله رجال أو رجل من هؤلاء. (متفق عليه). ففي هذا الحديث دليل على عموم رسالته، فقد فسر قوله تعالى وأخرج من هم لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ، قال هم الأعمام وكل من صدق النبى من غير العرب.

البعد الثانى: هو عدم وجود أى معرفة حضارية للأمة قبل البعثة رغم معرفتها الثابتة للقراءة والكتابة.

البعد الثالث: هو البعد الجامع للأمية بين الرسول والأمة فهو معنى الأمية ومنهج الدعوة. فالأمية في منهج الدعوة ليست مستوى معرفى ولكنها أسلوب دعوى.. فنحن قوم أميون باعتبار أسلوب الدعوة الذى نراعى فيه كل المستويات البشرية الثقافية والعلمية. عن نافع عن ابن عمر - رضى الله

وهذا يجب أن يكون المراد به نبينا - صلى الله عليه وآله - لأن أخوة بنى إسرائيل يجب أن تكون غيرهم، ويجب أن يكونوا أولاد إسماعيل - صلى الله عليه - وأولاد عيسو^(١)، أو أولاد اسحق، ولم يكن في أولاد عيسو بن اسحق نبى، غير أيوب^(٢) - صلى الله عليه - وكان هو قبل موسى - صلى الله عليه - فلا يصح أن يكون هو المراد. فيجب أن يكون المراد نبينا - صلى الله عليه - من ولد إسماعيل. يبين ذلك: أن بنى إسرائيل لم يبعث فيهم نبى مثل موسى له شريعة ظاهرة قبل المسيح، ولا يصح أن يقال: أن المراد به هو المسيح - صلى الله عليه - لأن القائل به، إما أن يكون يهوديا منكرًا للنبوة أو نصرانيا، لا يقول: أنه كان مثل موسى - صلى الله عليه - لأن النصرارى يقولون: أن المسيح ابن الله، فلا يصح أن يكون مثل موسى - صلى الله عليه - فلم يبق إلا أن يكون المراد به نبينا - صلى الله عليه وآله - على أن عيسى - صلى الله عليه - لم يكن مثل موسى - صلى الله عليه - لأن شريعته مبنية على شريعة موسى^(٣)، وشريعة نبينا مثل شريعة موسى - صلى الله عليه - فإنها لم تبني على شريعة غيره.

وعن أشعياء - صلى الله عليه: " قيل لى قم نظارا، فانظر ما ترى تجبر به،

عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذكر رمضان فضرب بيديه فقال الشهر هكذا وهكذا ثم عقد إبهامه فى الثالثة فصوموا للرؤيته وأفطروا للرؤيته فإن أغمى عليكم فاقدروا له ثلاثين. (متفق عليه). وهذا الحد يمثل الحد الأدنى للعقول التى تتعامل معها فى دعوتنا، وهو نقل الرسالة كما هى باعتبارها فطرة (رفاعى سرور، فى النفس والدعوة، ص ٢٨٦).

١ - وعيسو اخ توأم ليعقوب و هو الأكبر (او من ولد اولاد) كما أن يعقوب سرق منه البكورية بمساعدة أمه و عاد من الغربة التى هرب إليها بعد ما فعل ذلك و اعتذر لأخيه.

٢ - من سلالة سيدنا إبراهيم كان من النبيين الموحى إليهم، كان أيوب ذا مال وأولاد كثيرين ولكن الله ابتلاه فى هذا كله فزال عنه، وابتلى فى جسده بأنواع البلاء واستمر مرضه ١٣ أو ١٨ عاما اعتزله فيها الناس إلا امرأته صبرت وعملت لكى توفر قوت يومها حتى عافاه الله من مرضه وأخلفه فى كل ما ابتلى فيه، ولذلك يضرب المثل بأيوب فى صبره وفى بلائه، روى أن الله يحتج يوم القيامة بأيوب عليه السلام على أهل البلاء.

٣ - ودليل ذلك من إنجيل متى " ١٧ لَأَتَنظُّوْا أَيْ جِئْتُ لَأَنْقُصَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُصَ بَلْ لَأَكْمُلَ. " (انظر إنجيل متى ١٧: ٥).

قلت: أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما: هوت آلهة بابل^(١)، وتكسرت عليه أصنامها المنجورة^(٢) فكان راكب الحمار، عيسى - صلى الله عليه - وراكب الجمل نينا - صلى الله عليه وآله - وآلهة بابل لم تنزل تعبد من لدن إبراهيم - صلى الله عليه - إلى أن بعث الله نبيه - صلى الله عليه - فعندما هوت وتكسرت، واشتهار ركوب النبي - صلى الله عليه وعلى آله - الجمل، كاشتهار ركوب عيسى - صلى الله عليه - الحمار.^(٣)

وفي التوراة: " إذا جاءت الأمة الآخرة، اتباع راكب البعير، يسبحون الله تسيحا جديدا في الكنائس الجدد، فليفرح بنو إسرائيل ويسيروا إلى صهيون، ولتطمئن قلوبهم، لأنه اصطفى منهم في الأيام الآخرة أمة جديدة، يسبحون الله بأصوات عالية، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون له من الأمم الكافرة في جميع الأقطار.^(٤)

وعن أشعياء النبي صلى الله عليه: " هكذا يقول الرب أنك ستأتى من جهة

١ - بابل: من البابلية باب + ايلو أى " باب الله " (من إعجاز القرآن، ج ١، ص ١٩٦)
 ٢ - يقول النص: " لَأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ لِى السَّيِّدُ: «اذْهَبِ أَيْمَ الحَارِسِ. لِيُخْبِرَ بِمَا بَرَى». ٧ فَرَأَى رُكَّابًا أَزْوَاجَ فُرْسَانٍ. رُكَّابَ حَمِيرٍ. رُكَّابَ جِمَالٍ. فَأَضْغَى إِضْغَاءً شَدِيدًا، ٨ ثُمَّ صَرَخَ كَأَسَدٍ: «أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْمُرْصِدِ دَائِمًا فِي النَّهَارِ، وَأَنَا وَاقِفٌ عَلَى الْمُحْرَسِ كُلِّ اللَّيْلِ. ٩ وَهُوَذَا رُكَّابٌ مِنَ الرُّجَالِ. أَزْوَاجٌ مِنَ الْفُرْسَانِ». فَأَجَابَ وَقَالَ: «سَقَطْتُ، سَقَطْتُ بَابِلُ، وَجَمِيعُ تَمَائِيلِ أُمَّهَاتِهَا الْمُتَحَوِّتَةِ كَسَّرَهَا إِلَى الْأَرْضِ»

٣ - من النصوص الدالة على ذلك ما ورد فى إنجيل متى: " ١ وَلَمَّا قَرُبُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَاءُوا إِلَى بَيْتِ فَاجِي عِنْدَ جَبَلِ الزَّيْتُونِ، حِينَئِذٍ أَرْسَلَ يَسُوعُ تَلْمِيذَيْنِ ٢ قَائِلًا لَهُمَا: «اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا، فَلِلْوَقْتِ نَجِدَانِ أَتَانَا مَرْبُوطَةً وَجَحْشًا مَعَهُمَا، فَخَلَاهُمَا وَأْتِيَانِي بِهِمَا. ٣ وَإِنْ قَالَ لَكُمَا أَحَدٌ شَيْئًا، فَقُولَا: الرَّبُّ مَحْتَاجٌ إِلَيْهَمَا. فَلِلْوَقْتِ يُرْسِلُهُمَا. ٤ فَكَانَ هَذَا كُلُّهُ لِكَيْ نَبَيِّنَ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: ٥ «قُولُوا لِابْنَةِ صِهْيُونَ: هُوَذَا مَلِكُكَ بِأَيْتِكَ وَدِيعَا، رَايِمًا عَلَى أَتَانٍ وَجَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. ٦ فَذَهَبَ التَّلْمِيذَانِ وَقَعَلَا كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ، ٧ وَأَتِيَا بِالْأَتَانِ وَالْجَحْشِ، وَوَضَعَا عَلَيْهِمَا نِيَابَهُمَا فَجَلَسَ عَلَيْهِمَا. (إنجيل متى ٢١: ١-٧).

٤ - أنظر مزمو ١٤٩

التيمن، من بلد بعيد، ومن أرض البادية مسرعا، قدامك الروائع والرعارع والرياح"^(١) والتيمن هو ناحية الجنوب.^(٢)

١ - يقول النص: "٢٦ فَيَرَفَعُ رَايَةَ لِلْأُمَمِ مِنْ بَعِيدٍ، وَيَضْفِرُهُنَّ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ، فَإِذَا هُنَّ بِالْعَجَلَةِ يَأْتُونَ سَرِيعًا. ٢٧ لَيْسَ فِيهِمْ رَايَحٌ وَلَا عَائِزٌ. لَا يَنْعَسُونَ وَلَا يَنَامُونَ، وَلَا تَنْحَلُ حُرْمٌ أَحْقَانِيَهُمْ، وَلَا تَنْقَطِعُ سُيُورٌ أَحَدِيَّتِهِمْ. ٢٨ الَّذِينَ سَهَامُهُمْ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعُ قَيْسِيَهُمْ مَمْدُودَةٌ. حَوَافِرُ خَيْلِهِمْ مُحْسَبٌ كَالصَّوَانِ، وَبُكَرَاتُهُمْ كَالزُّوْبَعَةِ. ٢٩ هُنَّ رَجُورَةٌ كَاللَّبْوَةِ، وَيَزْجُرُونَ كَالشَّيْبَلِ، وَيَهْرُونَ وَيُمْسِكُونَ الْفَرِيَسَةَ وَيَسْتَخْلِصُونَهَا وَلَا مُنْقَدًا. ٣٠ يَهْرُونَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كَهَدِيرِ الْبَحْرِ. فَإِنْ نَظَرَ إِلَى الْأَرْضِ فَهَؤُذَا ظَلَامٌ الصَّبِيحِ، وَالنُّورُ قَدْ أَظْلَمَ بِسُحُبِهَا."

٢ - ورد في سفر أشعياء: "١ قَوْمِي اسْتَنْبِرِي لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكَ، وَحَدَّ الرَّبُّ أَشْرَقَ عَلَيْكَ. ٢ لِأَنَّهُ هَاهُوَ الظُّلْمَةُ تُعْطَى الْأَرْضَ وَالظُّلَامُ الدَّامِسُ الْأُمَّمَ. أَمَّا عَلَيْكَ فَيَسْرِقُ الرَّبُّ، وَحَدَّهُ عَلَيْكَ يَرَى. ٣ فَتَسِيرُ الْأُمَّمُ فِي نُورِكَ، وَالْمُلُوكُ فِي ضِيَاءِ إِشْرَاقِكَ. ٤ إِزْفَعِي عَيْنَيْكَ حَوَالِيكَ وَأَنْظُرِي. قَدْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ جَاءُوا إِلَيْكَ. يَأْتِي بَنُوكَ مِنْ بَعِيدٍ وَتَحْمَلُ بَنَاتُكَ عَلَى الْأَيْدِي. ٥ حِينَئِذٍ تَنْظُرِينَ وَتُبْرِينَ وَتَحْمَقُ قَلْبُكَ وَيَتَسَبَّحُ، لِأَنَّهُ تَتَحَوَّلُ إِلَيْكَ نَزْوَةُ الْبَحْرِ، وَيَأْتِي إِلَيْكَ غِنَى الْأُمَّمِ. ٦ تُعْطِيكَ كَثْرَةُ الْجِمَالِ، بُكَرَانٌ مِذْيَانَ وَعِيفَةٌ كُلُّهَا تَأْتِي مِنْ شِبَا. تَحْمَلُ ذَهَبًا وَلُبَانًا، وَيَسْتَسْرِ بِسَايِحِ الرَّبِّ. (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر الله أكبر، والله الحمد) ٧ كُلُّ عَنَمٍ (الْأَصْحِيحَةُ) قِيدَارٌ (جد النبي صلى الله عليه وسلم) تَجْتَمِعُ إِلَيْكَ. كِبَاشٌ تَبَايُوتٌ تُحَدِّثُكَ. تَضَعُدُ مَقْبُولَةً عَلَى مَدْبَحِي، وَأَرْزِينُ بَيْتِ جَمَالِي. ٨ مَنْ هُوَ لِأَيِّ الطَّاغُوتِ كَسَحَابٍ وَكَالْحَتَمِ إِلَى بِيوتِهَا ؟ ٩ إِنَّ الْجَزَائِرَ تَنْظُرُنِي، وَسُفُنُ تَرَشِيشَ فِي الْأَوَّلِ، لِتَأْتِي بَيْنِيكَ مِنْ بَعِيدٍ وَذَهَبُهُمْ مَعَهُمْ، لِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِيكَ وَقُدُوسِ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّهُ قَدْ جَدَّكَ." (أشعياء ٦٠ : ١-٨). لاحظ أن الكلام هنا عبارة عن نبوة مستقبلية وينصرف إلى مدينة بعينها، إنها مدينة يأتى إليها الناس من كل دول العالم براً وبحراً وجواً وتتحرف فيها الأضاحى من جمال مديان وعيفه وشبا، وغنم قيدار وكباش نبايوت. وكل هذه المسميات من مواقع جغرافية وأسماء قبائل، كلها تقع في أرض الجنوب في شبه الجزيرة العربية ولا علاقة لها بفلسطين أو اورشليم. فمناطق مديان وعيفه وشبا تشمل الجزء الغربى لشبه الجزيرة العربية من خليج العقبة شمالا وحتى أقصى الجنوب في اليمن العربى بمحاذاة ساحل البحر الأحمر أى تشمل إقليم الحجاز كاملا. فقيدار ونبايوت من أبناء إسماعيل عليه السلام، والمقصود هنا القبائل العربية التى من نسل قيدار ونبايوت المقيمون بوادى بكة وبرية فاران. ومن ذرية قيدار بن إسماعيل جاء النبى العربى الأمى محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا دخل للمسيحيين بهذا النص ؛ لأنهم لا يقدمون الأضاحى لله تعالى كما يفعل المسلمون، كما أنه لا دخل لليهود بهذا النص فمدينتهم المقدسة ليست بأرض الجنوب. " ١ فَصَعِدَ أَبْرَامُ مِنْ مِصْرَ هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ وَكُلُّ مَا كَانَ لَهُ، وَلُوطٌ مَعَهُ إِلَى الْجَنُوبِ." فكلمة الجنوب تشير إلى خروج القافلة الإبراهيمية من مصر وبالتحديد عبر شبه جزيرة سيناء. ويرسم خريطة مبسطة لطريق الخروج عبر سيناء نجد أن اتجاه الجنوب من سيناء يشير إلى إقليم الحجاز في شبه جزيرة العرب. والنص هنا يتكلم عن الصعود من سيناء مصر، أى السير إلى جهة الجنوب بالنسبة إلى سيناء ثم التأكيد على اتجاه السير بعبارة: إلى الجنوب. فالفقرة الأولى من النص تتكلم عن الاتجاهات الجغرافية

وعنه من فضل ذكر هاجر، وقال مخاطباً لها ولبلادها وولدها " مكة قومي، وأتيرى مصباحك فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام، وغطى على الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، ويظهر كرامته عليك، وتسير الأمم الضباب، فالرب يشرق عليك إشراقاً، ويظهر كرامتك عليك، وتسير الأمم إلى نورك والملوك إلى ضوء طلوعك، أرفعى بصرك إلى ما حولك وتأمل، فإنهم سيجتمعون كلهم إليك ويحجونك، ويأتيك ولدك من بلد بعيد، وسترين ذلك فتبهجين، وتفرحين، ويستروح قلبك، من أجل أنه يميل إليك ذخائر البحر، وتحج إليك عساكر الإبل، حتى تعمرك الإبل المابلة، وتضيق أرضك عن القطرات التي تجتمع إليك ويساق إليك كباش مدين وتسير إليك أغنام قيدار، وتخدمك رجال نبايوت ^(١) ". وقيدار هو ابن إسماعيل - صلى الله عليه

لسير القافلة ولا تتكلم عن محطات الانتقال ولا مسميات الأماكن. والمسيحيون لا يعترفون بأن إبراهيم قد صعد إلى مكة المكرمة، فإذا يفعلون حيال ذلك النص الذي ينسف رفضهم للتواجد الإبراهيمي بمكة المكرمة !؟

" ٣ وَسَارَ فِي رِحَالَتِهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى بَيْتِ إِيْلَ، إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَتْ حَيْمَتُهُ فِيهِ فِي الْبَدَاءَةِ، بَيْنَ بَيْتِ إِيْلَ وَعَاىَ، ٤ إِلَى مَكَانِ الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمَلَهُ هُنَاكَ أَوْلَى. وَدَعَا هُنَاكَ أَبْرَامَ بِاسْمِ الرَّبِّ. " (التكوين ١٣: ٤-٣).

أى أن الهدف من هذه الرحلة الجنوبية هو الوصول إلى (بيت إيل)، والغرض من الوصول هناك هو أن يقوم إبراهيم عليه السلام بالدعاء باسم الرب. فإذا كان الهدف هو الوصول إلى مكان بيت إيل والرحلة بدأت طريقها إليه متخذة اتجاه الجنوب، فإنه بالتأكيد يوجد في اتجاه الجنوب. وإلا فلا معنى لسير القافلة جنوباً وبيت إيل يوجد في أقصى الشمال الشرقي لحدود مصر أى فلسطين. (انظر جمال الشراقوى، نبي أرض الجنوب، ص ٢٦). كما أن المسميات التي ذكرت في النص مثل: مديان وعيفه وشبا وترشيش وقيدار ونبايوت. هي مسميات عربية، سواء لأماكن أو قبائل أو أشخاص.

١ - النص هو: " ١ تَرْتَبِي أَيْتُهَآ الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. أَشِيدِي بِالتَّرْتُمِ أَيْتَهَآ الَّتِي لَمْ تَمَحْضُ، لِأَنَّ بَيْتِ الْمُسْتَوْحِشَةِ أَكْثَرُ مِنْ بَيْتِ ذَاتِ الْبَعْلِ، قَالَ الرَّبُّ. ٢ أَوْسَعِي مَكَانَ حَيْمَتِكَ، وَلْتَبْسُطْ شَفَقُ مَسَاكِنِكَ. لَا تَمْسِكِي. أَطِيلِي أَطْنَابَكَ وَسَدِّدِي أَوْتَادَكَ، ٣ لِأَنَّكَ تَمْتَدِّينَ إِلَى النِّجِينِ وَإِلَى الْبِسَارِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ أُمَمًا، وَيُعِيرُ مَدُنًا خَرِبَةً. ٤ لَا تَخَافِي لِأَنَّكَ لَا تَحْزِنِينَ، وَلَا تَحْجَلِي لِأَنَّكَ لَا تَسْتَحِينِينَ. فَإِنَّكَ تَسْنِينَ حِزْيَ صَبَاكَ، وَعَارَ تَرْمُوكَ لَا تَذْكُرِينَهُ بَعْدُ. ٥ لِأَنَّ بَعْلَكَ هُوَ صَانِعُكَ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، وَوَلِيِّكَ قُدُوسٌ إِسْرَائِيلَ، إِلَهَ كُلِّ الْأَرْضِ يُدْعَى. ٦ لِأَنَّهُ كَامِرَةٌ مَهْجُورَةٌ وَمَحْزُورَةٌ الرُّوحِ دَعَاكَ الرَّبُّ، وَكَرَّوَجِي الصَّبَا إِذَا رُدَّتْ، قَالَ إِلَهُكَ. ٧ الْحَيْظَةَ تَرَكْتِكِ، وَبِمَرَاجِمٍ عَظِيمَةٍ سَاجَعْتِكِ. ٨ مَبِيضَانَ الْعَضْبِ حَجَبْتُ وَحَجَمِي عَنكَ لِحَظَّةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِي أَرْحَمُكَ، قَالَ وَلِيِّكَ الرَّبُّ. ٩ لِأَنَّهُ كَمِيَاهِ نُوحٍ هَذِهِ لِي. كَمَا حَلَفْتُ

- وهو جد النبي - صلى الله عليه - ونبايوت هو أخو قيदार وأولاده شديديو القلب.

ومن كتاب أشعياء: "سكان البادية والمدن وقصور آل قيदार: يسبحون، ومن رؤوس الجبال: ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، وينهون تسيحه في البر والبحر، يرفع علما لجميع الأمم، فيصفر لهم من أقاصى الأرض فإذا هم سراع يأتون"^(١) وقيدار بن إسماعيل هو جد النبي - صلى الله عليه وعلى آله - ونداؤهم بالتلبية من رؤوس الجبال، وتسيحهم لله جل وعز هو الذى ظهر من المسلمين، والنبي - صلى الله عليه - هو صفر لمواسم - أى نادى - فاتوه مسرعين.

وفي الإنجيل قال المسيح - صلى الله عليه - للحواريين: "أنا ذاهب وسيأتىكم الفيرقليط، روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه، إنما هو كما يقال له، وهو يشهد على به" وفي حكاية يوحنا عن المسيح - صلى الله عليه: "الفيرقلط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء وبخ العالم على الخطية، ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا، ولكن مما يسمع به يكلمكم، ويسوسكم بالحق، ويخبركم بالحوادث والغيوب"^(٢)

أَنْ لَا تَعْبُرَ بَعْدُ مِيَاهُ نُوحَ عَلَى الْأَرْضِ، هَكَذَا حَلَفْتُ أَنْ لَا أَعْصِبَ عَلَيْكَ وَلَا أَزْجُرِكَ. ١٠ فَإِنَّ الْجِبَالَ تَزُولُ، وَالْأَكَامَ تَتَزَعَزَعُ، أَمَّا إِحْسَانِي فَلَا يَزُولُ عَنْكَ، وَعَهْدُ سَلَامِي لَا يَتَزَعَزَعُ، قَالَ رَاحِمُكَ الرَّبُّ. ١١ أَيْتُهَا الدَّلِيلَةُ الْمُضْطَرِبَةُ عِزُّ الْمُتَعَزِّبَةِ، هَآنَذَا أَيْبَى بِالْأَثْمِدِ حِجَارَتِكَ، وَبِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ أَوْسُسُكَ، ١٢ وَأَجْعَلْ شُرْفَكَ يَاقُوتًا، وَأَبْوَابَكَ حِجَارَةَ بَهْرَمَانِيَّةَ، وَكُلَّ نَحْوِكَ حِجَارَةَ كَرِيمَةَ ١٣ وَكُلَّ بَيْتِكَ تَلَامِيذَ الرَّبِّ، وَسَلَامَ بَيْتِكَ كَثِيرًا. ١٤ بِاللَّيْلِ تُشْبِهُنَّ بَعِيدَةً عَنِ الظُّلْمِ فَلَا تُخَافِينَ، وَعَنِ الْاِزْتِعَابِ فَلَا يَدْنُو مِنْكَ. ١٥ هَا إِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ اجْتِمَاعًا لَيْسَ مِنْ عِنْدِي. مِنْ اجْتِمَاعِ عَلَيْكَ فَإِلَيْكَ يَسْقُطُ. ١٦ هَآنَذَا قَدْ خَلَقْتُ الْحَدَادَ الَّذِي يَنْفُخُ الْقَحْمَ فِي النَّارِ وَيُخْرِجُ آلَةَ لِعَمَلِهِ، وَأَنَا خَلَقْتُ الْمَهْلِكَ لِيَخْرَبَ. ١٧ كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكَ لَا تَنْجُحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكَ فِي الْقَضَاءِ مُحْكَمِينَ عَلَيْهِ. هَذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي، يَقُولُ الرَّبُّ." (أشعياء ٥٤).

١ - النص يقول: "١١ لِيَرْفَعِ الرَّبِّيَّةُ وَمُدْمَتُهَا صَوْتَهَا، الدِّيَارُ الَّتِي سَكَنَهَا قِيدَارُ. لِيَتَرْتَمَ سَكَّانُ سَالِحٍ. مِنْ رُؤُوسِ الْجِبَالِ لِيَنْهَتِفُوا. ١٢ لِيُعْطُوا الرَّبَّ مَجْدًا وَيُخْبِرُوا بِتَسْبِيحِهِ فِي الْجَزَائِرِ. ١٣ الرَّبُّ كَالْجَبَّارِ يُخْرِجُ كَرَجْلَ حُرُوبٍ يَنْهَضُ غَيْرَتَهُ. يَنْتَفِ وَيَضْرُخُ وَيَقْوَى عَلَى أَعْدَائِهِ." (أشعياء ٤٢: ١١-١٣).

٢ - من أعظم بشارات العهد الجديد بالنبي الخاتم هي نبوءات المسيح عن مجيء البارقليط. وينفرد يوحنا في إنجيله بذكر هذه البشارات المتوالية من المسيح بهذا النبي المنتظر، حيث يقول المسيح موصياً تلاميذه: "١٥ إِنْ كُنْتُمْ مُحِبُّونِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ، ١٦ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ

لَسَمَكْتُ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ، ١٧ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَا كَيْتَ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. ١٨ لَا أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. ١٩ بَعْدَ قَلِيلٍ لَا يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرُونَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ. ٢٠ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا فِي أَبِي، وَأَنْتُمْ فِي، وَأَنَا فِيكُمْ. ٢١ الَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَا وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحْيِي، وَالَّذِي يُحْيِي مُجِبُهُ أَبِي، وَأَنَا أُجِبُهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي. ٢٢ قَالَ لَهُ يَهُوذَا لَيْسَ الْإِسْخَرْيُوطِيُّ: «يَا سَيِّدُ، مَاذَا حَدَّثَ حَتَّى إِنَّكَ مُزْمِعٌ أَنْ تُظْهِرَ ذَاتَكَ لَنَا وَلَيْسَ لِلْعَالَمِ؟» ٢٣ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ أَحْبَبْتِي أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي، وَمُجِبُهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ تَضَعُ مَنْرَلًا. ٢٤ الَّذِي لَا يُحْيِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي. وَالْكَلَامُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي. ٢٥ هَذَا كَلَمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. ٢٦ وَأَمَّا الْمُعْزَى، الرُّوحُ الْقُدُّوسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. ٢٧ سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرُّبُ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبْ. ٢٨ سَمِعْتُمْ أَنِّي قُلْتُ لَكُمْ: أَنَا أَذْهَبُ ثُمَّ آتِي إِلَيْكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مُجِبُونَ لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لِأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الْآبِ، لِأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي. ٢٩ وَقُلْتُ لَكُمْ الْآنَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ، حَتَّى مَتَى كَانَ تُؤْمِنُونَ. ٣٠ لَا أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لِأَنَّ رَجِيسَ هَذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِي شَيْءٍ.» (يوحنا ١٤: ١٥ - ٣٠). وفي الإصحاح الذي يليه يعظ المسيح تلاميذه طالباً منهم حفظ وصاياهم، ثم يقول: "وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزَى الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ، رُوحَ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبَغِي، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. ٢٧ وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الْإِنْتِدَاءِ." (يوحنا ١٥: ٢٦).

" أَقَدْ كَلَمْتُكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَعْتَرُوا. ٢ سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ الْمَجَامِعِ، بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَطْرُقُ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةَ اللَّهِ. ٣ وَسَيَفْعَلُونَ هَذَا بِكُمْ لِأَنَّكُمْ لَمْ يَعْرِفُوا الْآبَ وَلَا عَرَفُونِي. ٤ لَكِنِّي قَدْ كَلَمْتُكُمْ هَذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ السَّاعَةُ تَذَكَّرُونَ أَنِّي أَنَا قُلْتُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ الْبِدَايَةِ لِأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ. ٥ وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ ٦ لَكِنِّي لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْخُزْنَ قُلُوبَكُمْ. ٧ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ تَنْطَلِقَ، لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزَى، وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يَكْتُبُ الْعَالَمَ عَلَى حَظِيَّةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دِينِيَّةٍ. ٩ وَأَمَّا عَلَى حَظِيَّةٍ فَلَأَنْتُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. ١٠ وَأَمَّا عَلَى بَرٍّ فَلَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرُونَنِي أَيْضًا. ١١ وَأَمَّا عَلَى دِينِيَّةٍ فَلَأَنَّ رَجِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. ١٢ إِنْ لِي أُمُورًا كَثِيرَةٌ أَيْضًا لِأَقُولُ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الْآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحَ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ ذَاكَ يُعْجِدُنِي، لِأَنَّهُ يَأْخُذُ بِمَا لِي وَيُخْبِرُكُمْ." (يوحنا ١٦: ١ - ١٢). ففي هذه النصوص يتحدث المسيح عن صفات الآتى بعده، فمن هو هذا الآتى؟ يجيب النصارى بأن الآتى هو روح القدس الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين ليعزيهم في فقدهم للسيد المسيح، وهناك " ١ وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا يَنْفَسُ وَاحِدَةً، ٢ وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّيِّئِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، ٣ وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. ٤ وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطَفِئُوا." (أعمال الرسل ٢: ١ - ٤). ويعتقد المسلمون أن ما جاء في إنجيل يوحنا عن المعزى، إنها هو بشارة من المسيح بمحمد صلى الله عليه وسلم، ويتضح ذلك من أمور:

أن عيسى عليه السلام كان يتكلم باللسان العبراني لا باليوناني، فإذا لا يبقى شك في أن الإنجيل الرابع (يوحنا) ترجم اسم المبره به باليوناني بحسب عاداتهم، ثم مترجم العربية عربوا اللفظ اليوناني بد(بارقليط). (أنظر إظهار الحق ص ١١٨٧). ومنها أن لفظة " المعزى " لفظة حديثة استبدلتها التراجم الجديدة للعهد الجديد، فيما كانت التراجم العربية القديمة تضع الكلمة اليونانية (الباركليتي) كما هي، وهو ما تصنعه كثير من التراجم العالمية. (أنظر الطبقات ١٨٤٤، ١٨٣١، ١٨٢٣، ١٨٢١). وفي تفسير كلمة " باركليتي " اليوناني نقول: المصطلح بارقليط وصورته اليونانية باركليتي لا يوجد إلا في كتابات يوحنا المنسوب إليه الإنجيل الرابع ورسالتين معروفتين باسمه. ولم يتعرف على ذلك المصطلح أحد من كتبه باقى الأناجيل اليونانية وسائر كتبه أسفار العهد الجديد سواء المعروف منها أو المكتشفة حديثاً. فلم يذكره بولس في رسالته، ولم يذكره أصحاب الأناجيل الثلاثة وباقي كتبه رسائل العهد الجديد، وهم جميعاً أسبق في التدوين من يوحنا. لماذا ؟

وفي النسخ العربية نجد فيها بدلاً من الاسم بارقليط الكلمات (المعزى والمعين والمؤيد والشفيع) وفي الترجمات الإنجليزية قالوا: (..... Comforter، Advocate، Helper، Counselor) وكل هذه المحاولات جنوح عن لغة المسيح عليه السلام. فتجد في الرسالة الأولى ليوحنا: " إيا أولادى، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لَا تَحْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الْآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. " (رسالة يوحنا الأولى ٢: ١).

إن هذا اللفظ اليوناني الأصل، لا يخلو من أحد حالين، الأول أنه " بارا كلى توس ". فيكون حسب قول النصرارى بمعنى: المعزى والمعين والوكيل. والثاني أنه " بيريكليتوس "، فيكون قريباً من معنى: محمد وأحمد. (أنظر إظهار الحق). وأحمد ومحمد تعنى موضع الثناء والحمد، وهى ترجم في اللغة اليونانية دائماً بكلمة " بيريكليتوس ". وإنجيل يوحنا حالياً في النسخة الإنجليزية يستخدم كلمة (Comforts) أى: معزى، بضم الميم وكسر الزاى مشددة كترجمة للكلمة اليونانية " باراكليتوس " والتي تعنى شفيع أو مدافع، وهو الشخص الذى يدعى لمساعدة آخر أو صديق حميم أكثر مما تعنى معزى. وكلمة باراكليتوس هى تحريف فى القراءة للكلمة الأصلية " بيريكليتوس ". (أنظر ديدات، محمد الخليفة الطبيعى للمسيح، ص ٣٨). يقول أسقف بنى سويف الأنبا اثناسيوس فى تفسيره لإنجيل يوحنا: " إن لفظ بارقليط إذا حرف نطقه قليلاً يصير " بيركليتي "، ومعناه: الحمد أو الشكر، وهو قريب من لفظ " أحمد ". (أحمد حجازى السقا، نبوة محمد فى الكتاب المقدس، ص ١٠١). لقد غيروا " بيركليتي " بكسر الباء، إلى " باركليتي " بفتح الباء. وقالوا إن معنى " بيركليتي " أحمد ومعنى " باركليتي " الآتى عوضاً عن المسيح ليعزى بنى إسرائيل فى فقدهم الملك والشرية. (السابق، ص ٩٩). وهنا يجب مراعاة أن كلمة قليط تحتوى على حرفين لا يستطيع اليونانيون أن ينطقوها نطقاً صحيحاً هما: القاف والطاء، حيث يتحولان عندهم إلى الكاف والتاء، فيقولون كليتي بدلاً من قليط. (الشرقاوى، نبى أرض الجنوب، ص ٣٠٣ بتصرف). ويقول القمص مرقس عزيز خليل: إن الكلمة اليونانية هى: باراكليتس، ومعناها المعزى، أما بيركليتس فعناها المحمود، والمشهور. (استحالة تحريف الكتاب المقدس، ص ٣٣٩). ومما يؤكد خطأ الترجمة أن اللفظة اليونانية (بيركليتس) اسم لا صفة، فقد كان من عادة اليونانيين زيادة السين فى آخر الأسماء، وهو ما لا يصنعونه فى الصفات. ويرى عبد الأحد داود أن تفسير الكنيسة للباركليتي بأنه " شخص يدعى

للمساعدة أو شفيع أو محام أو وسيط " غير صحيح، فإن كلمة بارقليط اليونانية لا تعيد أيًا من هذه المعاني، فالمعزى في اليونانية يدعى (باركالوف أو باريجوريس)، والمحامي تهرب للفظه (سانجرس)، وأما الوسيط أو الشفيع فتستعمل له لفظة " ميديتيا "، وعليه فعزوف الكنيسة عن معنى الحمد إلى أى من هذه المعاني إنها هو نوع من التحريف. (عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، ص ٣٥). ومثل هذا التحريف لا يستغرب وقوعه في كتب القوم، ففيها من الطوام مما يجعل تحريف كلمة " البركلت " من السهل الهين. والسؤال الذى يطرح نفسه: هل المسيح استخدم كلمة المعزى باللغة العربية ؟ بالطبع لا. لأن عيسى عليه السلام لم يكن يتحدث اللغة العربية، وبالمثل فهو لم يكن يتحدث اللغة الإنجليزية حتى يستخدم كلمة (Comforts) التى تعنى مساعد أو معاون. فمن هو المعزى: " ٢٦ وَأَمَّا الْمُعْزَى، الرُّوحُ الْقُدُّسُ، الَّذِي سَيَّرِسُلُهُ الْآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قَلْتُهُ لَكُمْ. (يوحنا ١٤: ٢٦). فهل المعزى هو الروح القدس ؟ النصارى جميعاً يجيبون بنعم ! إذن فلنقرأ هذا النص: " ١٦ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمَكَّتْ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ. " (يوحنا ١٤: ١٦). والنص في اللغة الإنجليزية يقول: if you love me you will keep my commandment. and I will pray the father and He will give you another counselor to be with you for ever وترجمته هي: إن كنتم تحبونى حافظوا على وصاياى وسوف أدعوا (أتوسل) للآب وهو سوف يعطيكم مرشداً (بارقليط) آخر يبقى معكم إلى الأبد. إن قول المسيح عليه السلام وسوف أدعوا أو أتوسل معناه التضرع إلى الله سبحانه وتعالى وهو لا يكون بين طرفين متساويين وإنما بين عبد وإله، ولكن القوم ترجموها في العربية إلى (أطلب). ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ونركز هنا على كلمة " آخر " ومعناها شخص بخلاف الأول ولكن من نفس النوع وإن كان يختلف بوضوح عن الشخص الأول. فمن إذاً هو المعزى الأول؟؟ أو قل: من هو البارقليط الأول ؟ الكل متفق على أنه المتكلم نفسه عيسى عليه السلام. إذاً فإن الآخر لابد أن يكون من نفس الطبيعة والنوعية، يمجوع ويعطش ويتعب.... الخ. ولكن المعزى الموعود " يمكث معكم إلى الأبد " إنه سيقى ويستمر إلى الأبد.. كل الرسل يمكثون معنا إلى الأبد. موسى معنا اليوم بتعاليمه وعيسى معنا بتعاليمه ومحمد معنا بتعاليمه، عليهم جميعاً صلوات الله وتسليته. (ديدات، محمد الخليفة الطبيعي للمسيح، ص ٥١-٣٥ بتصرف). وأياً كان المعنى للبارقليط: أحد أو المعزى فإن الأوصاف والمقدمات التى ذكرها المسيح للبارقليط تمنع أن يكون المقصود به روح القدس، وتؤكد أنه كائن بشرى يعطيه الله النبوة. وذلك واضح من خلال التأمل في نصوص يوحنا عن البارقليط.

" ١٢ إِنْ لِي أُمُورًا كَثِيرَةٌ أَيْضًا لَأَقُولَ لَكُمْ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُونَهَا الْآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَلِكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ ذَلِكَ يُمَجِّدُنِي، " (يوحنا ١٦: ١٢-١٤). فإن يوحنا استعمل في حديثه عن البارقليط أفعالاً حسية مثل (الكلام، والسمع، والتوبيخ) في قوله: " كل ما يسمع يتكلم به " وهذه الصفات لا تنطبق على الألسنة النارية التى هبت على التلاميذ يوم الخمسين، إذ لم ينقل أن الألسنة النارية تكلمت يوم ذلك بشيء، وأما الروح فغاية ما يصنعها إنها هو الإلهام القلبي، وأما الكلام فهو صفة بشرية، لا روحية. ومن صفات الآتى أنه يجيء بعد ذهاب المسيح من الدنيا، فالمسيح وذلك

الرسول المعزى لا يجتمعان في الدنيا، وهذا ما يؤكد مرة أخرى أن المعزى لا يمكن أن يكون الروح القدس الذى أيد المسيح طيلة حياته، بينما المعزى لا يأتى الدنيا والمسيح فيها " إن لم أنطلق لا يأتىكم المعزى". وروح القدس سابق في الوجود على المسيح، وموجود في التلاميذ من قبل ذهاب المسيح، فقد كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض. (أنظر سفر التكوين الإصحاح الأول). كما كان له دور في ولادة عيسى حيث أن أمه " وجدت حبلى من الروح القدس " (متى ١: ١٨). كما اجتمعا سوياً يوم تعميد المسيح، حين " نزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة " (لوقا ٣: ٢٢). فالروح القدس موجود مع المسيح وقبله، وأما المعزى " إن لم أنطلق لا يأتىكم "، فهو ليس الروح القدس. وبما يدل على بشرية الروح القدس أنه من نفس نوع المسيح، والمسيح كان بشراً، وهو يقول عنه: " وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر "، وهنا يستخدم النص اليونانى كلمة (allon) وهى تستخدم للدلالة على الآخر من نفس النوع، فيها تستخدم كلمة (hetenos) للدلالة على آخر من نوع مغاير. وإذا قلنا إن المقصود من ذلك رسول آخر أصبح كلامنا معقولاً، ونفتقد هذه المعقولة إذا قلنا: إن المقصود هو روح القدس الآخر، لأن روح القدس واحد وغير متعدد. ثم إن الآتى عرضة للتكذيب من قبل اليهود والتلاميذ، لذا فإن المسيح يكثر من الوصية بالإيمان به واتباعه، فيقول لهم: " إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى "، ويقول: " قلت لكم قبل أن يكون، حتى إذا كان تؤمنوا "، ويؤكد على صدقه فيقول: " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ". فكل هذه الوصايا لا معنى لها إن كان الآتى هو الروح القدس، حيث نزل على شكل ألسنة نارية، فكان أثرها في نفوسهم معرفتهم للغات مختلفة، فمثل هذا لا يحتاج إلى وصية للإيمان به والتأكيد على صدقه. والروح القدس أحد أطراف الثالوث، وينبغى وفق عقيدة النصارى أن يكون التلاميذ مؤمنين به، فلم أوصاهم بالإيمان به؟ كما أن روح القدس وفق كلام النصارى إله مساو للآب في إلهيته، وعليه فهو يقدر أن يتكلم من عند نفسه، وروح الحق الآتى " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ". إن ذلك النص يشابه ما جاء بسفر التثنية " وأجعل كلامى في فمهم فيكلمهم بكل ما أوصيه به " (تثنية ١٨: ١٨) ويشبه ما قاله القرآن الكريم ﴿ وَمَا يَطِيقُ عَنِ أَلْهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣] وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [المائدة: ٦٧] كما أن المسيح أخبر أنه قبل أن يأتى البارقليط ستقع أحداث هامة وبارزة " سيخرجونكم من المجمع، بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله "، فالنص لا يتحدث عن اضطهاد الرومان أو اليهود لأتباع المسيح، وإنما يتحدث عن اضطهاد رجال الكنيسة لأتباع المسيح الموحدين، وهم - أى رجال الكهنوت - يظنون أنهم بذلك يحسنون صنعاً، ويقدمون خدمة لله ودينه، فقررت مجامعهم طرد أريوس والموحدين، وأخرجوهم من المجمع الكنسية، وحكموا عليهم بالحرمان والاضطهاد، واستمر الاضطهاد بأتباع المسيح حتى نذر الموحدون قبيل ظهور الإسلام. وذكر يوحنا أن المسيح خبر تلاميذه بأوصاف البارقليط، والتي لم تتمثل بالروح القدس الحال على التلاميذ يوم الخمسين، فهو شاهد تضاف شهادته إلى شهادة التلاميذ في المسيح " فهو يشهد لى، وتشهدون أنتم أيضاً " فأين شهد الروح القدس للمسيح؟ وبم شهد؟ في حين نجد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد للمسيح بالبراءة من الكفر وادعاء الألوهية والبنوة لله، كما شهد ببراءة أمه مما رماها به اليهود ﴿ وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ هَتَيْنَا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦] يقول تعالى: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا

رَسُولٌ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قِبَلِهِ الرُّسُلُ وَأَمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴿ [المائدة: ٧٥]، ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾ [النساء: ١٧١] ويقول تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا قَوْمِ لِمَنِ اتَّبَعْتُمْ لَقَدْ أَبْرَأْتُكُمْ لِقَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ اللَّهِ. وهذه هي الشهادة. "وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء". فبماذا شهد التلاميذ؟

شهادة بطرس:

" أَيُّهَا الرَّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هَذِهِ الْأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرَّهَنْ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ بِقَوَاتٍ وَعَجَائِبٍ وَأَيَاتٍ صَنَعَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضًا تَعْلَمُونَ. " (أعمال الرسل ٢: ٢٢).

شهادة نيقوديموس:

" يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله معلماً". (يوحنا ٣: ١-٢)، فهو يشهد بأن عيسى عليه السلام رسول ومعلم.

شهادة الشاب الغني:

" وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل". (متى ١٩: ١٦). فلم يدعوه رباً أو إله بل دعاه "معلم" أي رسول.. " فقالت الجموع: هذا هو يسوع النبی الذي من ناصرة الجليل ". (متى ٢١: ١١). وأخبر المسيح عن تمجيد الآتى له، فقال: " ذلك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم " ولم يمجد المسيح أحد ظهر بعده كما مجده نبي الإسلام، فقد أثنى عليه، وبيّن فضله على سائر العالمين في حين أنه لم ينقل لنا أى من أسفار العهد الجديد أن روح القدس أثنى على المسيح أو مجده يوم الخمسين، حين نزل على شكل ألسنة نارية. كما أن البارقليط " يذكركم بكل ما قلته لكم " وليس من حاجة بعد رفعه بعشرة أيام إلى مثل هذا التذكير، ولم ينقل العهد الجديد أن روح القدس ذكرهم بشيء، بل إنا نجد كتاباتهم ورسائلهم فيها ما يدل على تقادم الزمن ونسيان الكاتب لبعض التفاصيل التي يذكرها غيره، بينما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل ما غفلت عنه البشرية من أوامر الله التي أنزلها على أنبيائه ومنهم المسيح عليه السلام. والبارقليط له مهات لم يقم بها الروح القدس يوم الخمسين فهو " متى جاء ذلك يبيكت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة " ولم يوبخ الروح القدس أحداً يوم الخمسين، بل هذا هو صنيع رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البشرية الكافرة. إن التوبيخ على البر قد فسره المسيح بقوله بعده: " وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا تروني "، ومعناه أنه سيوبخ القائلين بصلبه، المنكرين لنجاته من كيد أعدائه، وقد أخبرهم أنه سيطلبونه ولن يجده، لأنه سيصعد إلى السماء، " يا أولادى أنا معكم زماناً قليلاً بعد، ستطلبونني، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن... " (يوحنا ١٣: ٣٢). كما سيوبخ النبی الآتى الشيطان ويدينه بما يشه من هدى ووحى " وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ". وصفة التوبيخ لا تناسب من سعى بالمعزى، وقيل بأنه جاء إلى التلاميذ يعزيمهم بفقد سيدهم ونيهم. ثم العزاء إنما يكون حين المصيبة وبعدها بقليل، وليس بعد عشرة أيام (موعد نزول الروح القدس على التلاميذ)، ثم لماذا لم يقدم المعزى القادم العزاء لأم المسيح، فقد كانت أولى به. ولا يجوز

لنصارى أن يعتبروا قتل المسيح على الصليب مصيبة تستوجب العزاء، إذ هو برأيهم سبب الخلاص والسعادة الأبدية للبشرية، فوقوعه فرحة ما بعدها فرحة، وإصرار النصارى على أن التلاميذ احتاجوا لعزاء الروح القدس يبطل عقيدة الفداء والخلاص. ومن استعراض ما سبق ثبت بأن روح القدس ليس هو الباركليت، فكل صفات الباركليت صفات لنبي يأتي بعد عيسى، وهو النبي الذي بشر به موسى عليه السلام، فالبارقليط " لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به "، وكذا الذي بشر به موسى " أجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به "، وهو وصف النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الله ﴿ وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى ﴾ (النجم: ٣-٥).

روح الحق:

" ١٢ إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. ١٣ وأما متي جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمر آتية. ١٤ ذلك يمجدني، " (يوحنا ١٦: ١٢-١٤).

ويقول تعالى: ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴾.

لقد تنبأ يسوع عن أنبياء كذبة وحذر منهم تلاميذه، حيث قال لهم: " احترزوا من الأنبياء الكذبة " (متى ٧: ١٥). ويقول يوحنا في رسالته الأولى عن الأنبياء الكذبة: " أيها الأحياء لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم " (رسالة يوحنا الأولى ٤: ١).

لقد فسر يوحنا معنى كلمة روح وبين أنها تعنى نبي، فعبارة يوحنا (الروح الحق) معناها (النبي الحق) وذلك حسب رواية يوحنا، وبناء على ذلك يكون البارقليط هو النبي الحق والرسول الحق. هؤلاء هم الأنبياء الكذبة الذين كتب عنهم كل من يسوع ويوحنا، وأما قول يوحنا عن النبي " البارقليط " الآتي فإن سمته البارزة أنه "روح الحق". وفي نص رسالة يوحنا نلاحظ أن كلمة "روح " استخدمت مرادفة لكلمة النبي "لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح" أى أن الروح الحقيقي هو النبي الحقيقي، والروح المزيف هو النبي المزيف، وعلى ذلك فإن الروح القدس تبعاً للقدس يوحنا هو النبي القدسي. وما هو إلا محمد صلى الله عليه وسلم.

المعيار:

كيف نتعرف على النبي الحق الذي هو روح الحق؟

يقول يوحنا في رسالته الأولى: " بهذا تعرفون روح الله كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله " (رسالة يوحنا الأولى ٤: ٢). عرفنا أن معنى روح الله أى نبي الله ومعنى كل روح أى كل نبي طبقاً لكلمات يوحنا السابقة في الرسالة الأولى.

فماذا قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن عيسى عليه السلام؟؟

هل اعترف بيسوع المسيح؟

لقد ذكر عيسى عليه السلام باسمه "عيسى" في القرآن ٢٥ مرة، وكُتبت عنه بأوصاف مثل: النبي - روح الله - كلمة الله - من الصالحين... الخ (ديدات، محمد الخليفة الطبيعي للمسيح، ص ٥٠-٥٢ بتصرف).

ويخبركم بأمر آتية

هذا يشير إلى عظمة الإسلام وعلو مصدره لأنه - أي القرآن - يتحدثنا عن الإعجاز العلمي الذي ما كان يستطيعه ذلك النبي الأمي الذي عاش في بيئة أمية في القرن السابع الميلادي، بل ما كان يستطيعه أساطين العلم والحكمة في ذلك الزمان، والقرآن الكريم يضم بين دفتيه أكثر من ٧٠٠ آية تتحدث عن الإعجاز العلمي. وفي هذا الصدد يمكن الرجوع إلى مؤلفات الشيخ عبد المجيد الزنداني، والدكتور محمد منصور حسب النبي، والدكتور زغلول النجار. "إن القرآن ليس كتاباً متخصصاً في الطب أو الفلك أو طبقات الأرض، كما أنه ليس مرجعاً في الكيمياء أو الطبيعة أو الرياضيات. لكن شيئاً من ذلك قد يورده في معرض الهداية من قبيل إقامة الأدلة على الحقيقة المنشودة التي سبق الكلام لها أصلاً.. وهو إذ يوردها فإنها يوردها بمجمل لا مفصلة مراعاة لمدارك مستقبلية من الناس، حتى لا يتحدث بها لا يستطيعون إدراكه فيكذبوه..!" (عبد الحميد ندا، المدخل إلى التفسير، ص ٤٦٥). يقول إبراهيم خليل أحمد: "لقد حضرت المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم المنعقد بجامعة الدول العربية بالقاهرة في الفترة من ٢٢-٢٦ سبتمبر ١٩٨٥ وكانت المفاجأة السارة والمبهرة ونحن جلوس حول مائدة السيد رئيس الجمهورية في مساء الخميس ٢٦ سبتمبر ١٩٨٥ بفندق ماريوت بالزمالك إذ نطق البروفيسور اليسون بالمر professor A. palmer رئيس اللجنة التنظيمية للمؤتمر المثوى للجمعية الجيولوجية الأمريكية نطق قائلاً: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. في حضرة مندوب رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر. وقال: إن القرآن الكريم لا ريب هو كلام الله، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ۝ آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٤]. وتلا قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَهُمْ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلْطَانٍ مِنْ مَاءٍ مُهِينٍ ۝ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِمْ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝﴾ [السجدة: ٧-٩]. وقال: إن العلماء قد قضوا سنوات مضية من البحوث عن نشأة الجنين في رحم المرأة وكيف تدب فيه الحياة. ولقد انبهر بالقرآن الكريم حينما استمع لتلاوة الشيخ عبد المجيد الزنداني لهذه الآيات وأبصرها بنفسه وقرأها في تدبر وقال: إن القرآن الكريم سبق العلم الحديث في هذا المضمار العلمي، ومن ثم فإن القرآن الكريم هو كلام الله حقاً. وإنه لشرف كبير أن يعلن إسلامه ويرأ من كل دين يغير دين الإسلام. (إبراهيم خليل أحمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص ١١٩).

إعجاز للكافرين:

يقول تعالى: ﴿بَيَّتَ بِدَا أُنْ لَهْمٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَمِعَلِيَ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ ۝﴾
فهذه السورة نزلت في أبي لهب وكان كافراً ونزلت في أمر اختياري وهو الإيثار. قالت الآية إن أبا لهب سيموت كافراً وسيدخل النار، ماذا كان يحدث لقضية الإيثار لو أن أبا لهب جمع كفار قريش وقال لهم: إن محمداً قال عنى كلاماً.. ويقول إنه منزل من الله تعالى وأنتي ساموت كافراً. وأنا أقولها لكم وأمامكم: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. لتعرفوا أن هذا الكلام الذي قاله محمد

ليس من عند الله. ولكن لأن الله هو القائل لم يدر بخاطر أبى جهل أن يستخدم هذه القضية في هدم الإسلام، ومات أبو هب كافراً كما قرر القرآن. (الشعراوى، معجزات الرسول، ص ٢٩). يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلَ مَا فَتَنْتُمُوهُمُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُمْ وَإِنْ يَسْأَلْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَاسْتَعِذُّوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ [الحج: ٧٣-٧٤].

فهل تعلم أن الذباب فيه غدة لعابية غنية باللعباب، واللعباب الذى فى الذباب يجعله إذا سقط على شيء من الأطعمة فوراً يسقط عليه لعباباً كثيراً فيحوّله إلى شيء آخر فلو أردنا أن نستخلص قطعة من السكر أخذها الذباب ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، لماذا؟ لأنه بمجرد أن يأخذ الشيء يفرز عليه من لعبابه ويحوّله إلى مادة أخرى. ومع التقدم العلمى اكتشف العلم اليوم وله أدلته على أن السماء تتسع بتكوين نجوم جديدة وتتبادل أجزائها. حتى أن بعضهم يقول الكون يشبه بالون كبير يُفخ فيه. والله تعالى يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْمٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿ [الذاريات: ٤٧]. يقول تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِفِعْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا ﴿ [الرعد: ٢]. وبالمشاهدة نقول أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد فى الفضاء اللانهائى. وقد أثبت العلم أن هناك عمداً غير مرئية تتمثل فى قانون الجاذبية وهى التى تساعد كل هذه الأجرام على البقاء فى أمكنتها المحددة. يقول تعالى: ﴿يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴿ [الأعراف: ٥٤].

وهذه الآية الكريمة تشرح للإنسان القديم سر مجيء الليل بعد النهار. ولكنها تحوى إشارة رائعة إلى دوران الأرض محورياً وهو الدوران الذى يعتبر سبب مجيء الليل والنهار طبقاً لمعلوماتنا الحديثة ومن بين المشاهدات التى أدلى بها رجل الفضاء الروسى "جارجارين" بعد دورانه فى الفضاء حول الأرض: أنه شاهد تعاقباً سريعاً للظلام والنور على سطح الأرض بسبب دورانها المحورى حول الشمس. (وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، ص ١٩٩). والآيات الكونية كثيرة فى صريح القرآن الكريم وصحيح السنة، ومع ذلك نجد القرآن لم يطاوع عبقرية الصحابة فيما نبغوا فيه من سؤال يسبق زمنهم ويفوق إمكانات عصرهم، وذلك حين سألوا عن الأهلة: لماذا يولد القمر هلالاً، ثم يستوى بدراً، ثم ينتهى محاقاً؟ وتلك ظاهرة فلكية بحتة، لها علاقتها الخاصة بمنازل القمر ودورانه فى فلكه الذى يسبح فيه ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿ [يس: ٤٠]

وشرح هذه الظاهرة الفلكية لا تؤمن عواقبه، بالنسبة لداواة العقول فى عمومها، ونظراً لعدم توفر وسائل الكشوف الفلكية وعدم تهيؤ العصر لعمل المراصد أو التلسكوبات.. لذلك عدل عن الجواب المباشر وأجاب عن لازم السؤال وهو آثار الأهلة وأهميتها.. فقال تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوْجِبَتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴿ [البقرة: ١٨٩]

إذ من الرحمة بالعباد أن يحدّثوا على قدر عقولهم وأن يخاطبوا على قدر مداركهم واستعدادهم الذهنى.. ومن ثم وعد الله سبحانه وتعالى الناس بأن يكشف لهم مستقبلاً عن الحقائق الكونية التى أوجملها القرآن فى كثير من آياته وسوره، فقال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا فِي الْأَفَاقِ فِي أَنْفُسِنَا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴿ [فصلت: ٥٣]. وقال سبحانه: ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿ [الأنعام: ٦٧]. بل إن القرآن الكريم ليخبر أن من أسباب تكذيب أولئك الذين كذبوا بالقرآن أنهم عجزوا عن الإحاطة بعلمه، كما أنهم عجلوا دون انتظار بيانه وتأويله، فقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا

يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ» [يونس: ٣٩]. ومن ثم أكد لهم أن الزمان سيأتي بالحقائق التي تكشف عن مصداقيته، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ لَعْنُتُنَّ بِأَنَّهُمْ بَعَدَ حَيْثُ﴾ [ص: ٨٨]

لذلك لم يكن لرسول الله ﷺ أن يسبق الأوان ويقتحم حاجز الزمان، ولم يكن له بالتالي أن يفسر الآيات الكونية إلا بقدره، حتى لا يكون تفسيره لها بمثابة الولادة القيصرية قبل أوانها، تماماً كإجابته عبد الله بن سلام حين سأله "من أى شيء ينزع الولد إلى أبيه؟". فكان جوابه ﷺ "وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا اغشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له.. وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها". وبالطبع لم يكن بوسعهم ﷺ أن يجيب بكلام مفصل يشرح فيه عملية التكاثر مبيناً أن نطفة الرجل تحتوى على عامل الذكورة وعامل الأنوثة معاً، وأن أحدهما هو الذى ينتج عنه نوع الجنين.... الخ (المدخل، ص ٢١٩).

ذاك يمجديني

أى ذاك يدفع عنى الشبهات. وما هى الشبهات التى يدفعها نبي الإسلام محمد ﷺ عن عيسى ﷺ؟؟
إنها خمس شبهات:

١. الإله المتجسد.
٢. البنوة الإلهية.
٣. الثالث المقدس.
٤. الخطيئة الأصلية.
٥. الفداء (الصليب).

دحض الشبهات:

أولاً- شبهة الإله المتجسد.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِيَّ إِسْرَائِيلَ آعْبُدُوا اللَّهَ نَبِيَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ثانياً- شبهة البنوة الإلهية. يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَيْمَ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قٰنِیْنٌ ۝ بَدِيعَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضٰی أَمْرًا فَإِنَّمَا یَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]

ثالثاً- شبهة التثليث.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةً أَتَاهُوا حَمِيراً لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، ويقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]

رابعاً- شبهة الخطيئة الأصلية.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥].

خامساً- شبهة الصليب.

يقول تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلْبُوهُ وَلٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَيُبَتِّلُونَهُ إِنَّهُم يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَبِّهِمْ وَمَا يَحْكُمُونَ بِهِمْ سِوَا اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلذَّالِمِينَ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وفصول كثيرة في التوراة والزبور والإنجيل.

وعن أشعياء وغيره من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - غير ما ذكرنا. لكننا اقتصرنا على هذا القدر، لأن فيه كفاية، وهذه الفصول يقر بها حفاظ أهل الكتاب وليسوا ينكرون منها إلا اسم نبينا - صلوات الله عليه - ويتأولون النبوءات تأويلات ظاهرة الفساد.

ومن المعلوم أن النبي - صلى الله عليه وعلى آله - تلا عليهم:

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾^(١) وتلا حكاية عن المسيح - صلى الله عليه: ﴿ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾^(٢) وتلا: ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾^(٣) ﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) وتلا: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾^(٥)

فلو لم تكن هذه الآيات من عند الله عز وجل، ولم يكن اسمه مكتوبا في كتبهم، ولم يكن أحبارهم عالمين بذلك، لم يكن - صلى الله عليه - يورد عليهم ذلك؛ لأنه لا يزيدهم إلا نفارا عنه، وتحققا بتقوله، حاشاه من ذلك.

فإن قيل: هذا الذي حكيتم من كتب الأنبياء - صلوات الله عليهم - صحيح، وهذه الصفات موجودة في تلك الكتب، إلا أن الموصوف بها لم يجيء بعد بته.

إن كل ما ذكر عن البارقليط له شواهد في القرآن والسنة تقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه النبوءة، إذ هو الشاهد للمسيح، وهو المخبر بالغيوب، الذي لا نبى بعده، وقد ارتضى الله دينه إلى قيام الساعة ديناً.. (إبراهيم خليل احمد، محاضرات في مقارنة الأديان، ص ١٢٢ بتصرف).

١ - [الأعراف: ١٥٧]

٢ - [الصف: ٦]

٣ - آل عمران ٧٠-٧١.

٤ - البقرة ١٤٦.

قيل له: أرأيتم أن جاء من تدعونه، ثم أنكره منكر. ما يكون برهانكم عليه؟

فإن قيل: إذا جاء أتى بالمعجزات، فمهما قالوا في ذلك فهو جوابنا.

ثم يقال لهم: إذا أتى من توجد فيه الأوصاف المذكورة فيجب أن نعلم أنه هو الذى بشرت به الأنبياء، صلوات الله عليه، لأنه لا يجوز أن يعرفنا نبي من الأنبياء، أنه يأتيكم رجل حاله كذا، وصفته كذا، فإذا أتاكم فافعلوا به كذا، من تصديق أو تكذيب ثم يأتينا رجل بتلك الصفة، ولا يكون هو مرادا بذلك الخبر، بل يكون المراد غيره، والمقصود سواه، لأنه لو كان ذلك كذلك كان ضربا من التلبيس، ويجب أن يمنع الله - عز وجل منه، وفي هذا إبطال هذا السؤال.

فإن قيل: بينوا أن تلك الأوصاف حاصلة لنيكم - صلى الله عليه وعلى آله -.

قيل له: ما جاء في التوراة، جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبل فاران، " لا التباس في أن المراد بقوله: "استعلن من جبل فاران" هو ابتعائه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله - لأن جبال فاران، لا إشكال في أنها جبال مكة، ولم تظهر عبادة الله عز وجل وتسيحه وتهليله وخلع الأصنام، والأنداد بمكة ظهور انتشر في الآفاق، وتحمله الركبان إلا برسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وظهوره من ساعير لم يكن إلا بعبسى - صلى الله عليه - وفي ذلك ثبوت أن هذه البشارة كانت بشارة النبي - صلى الله عليه - لأنه لو جاز أن يقال ذلك في موسى وعيسى - صلى الله عليهما - لجاز في محمد - صلى الله عليه .

وأنت إذا تأملت الأوصاف التى ذكرناها وبينها، وجدت جميعها في رسول الله - صلى الله عليه - وصفا وصفا. فيتبين لك: أنه الموصوف بها. فإذا ثبت ذلك ثبت أنه المشير بها. لأن خلاف ذلك مما لا يجوز في حكمة الله الحكيم - عز وجل .